تم نشره بكتاب المؤتمر العاشر
لكلية دار العلوم بعنوان:
التفكير المنهجي في العلوم العربية والإسلامية،
عام ٢٠٠٨

التعدد الدلالي بين النظر والتطبيق
سورة "يوسف" نموذجًا

د. نادية رمضان النجار

أستاذ العلوم اللغوية المساعد بآداب

حلوان

عرفه المحدثون بأنه "لفظ واحد له مدلولات عدة"؛ فلفظة operation معناها العام (عملية) منعزلة عن السياق الذي تستعمل فيه(١)؛ ومن ثم فلا يتحدد معناها فيعرف المراد منها إن كان عملية جراحية، أو إستراتيجية، أو تجارية؛ ومن هنا يظهر أهمية السياق في تعيين معناها، ولا خلاف بين المتكلمين بالانجليزية في أن هذه كلمة واحدة تعددت مدلولاتها. على حين توجد كلمات أخرى قد تتفق في الكتابة أو النطق إلا أنها لا تتحدر من أصل واحد كـ(a page boy) بمعنى (ساعٍ أو بواب)، و(the page of a book) بمعنى (صفحة كتاب) حيث إن اللفظ (page) هنا يمثل كلمتين مستقلتين، ومنفصلتين بعضهما عن بعض بصورة واضحة، غير أن هاتين الكلمتين قد اتفقتا في الصيغة بمحض المصادفة؛ ومن ثم يقرر "أولمان" أنه إذا كان اللفظان ينتميان إلى كلمتين مختلفتين فهما من المشترك اللفظي (homonymy). أما إذا كانت الألفاظ ترجع إلى أصل واحد فقد سمي هذا بالتعدد الدلالي (polysemy)(٢)؛ فـ(homonymy) نوع من الكلمات (المواد المعجمية) تتحد صورته وتختلف معانيه، وأصول هذه المواد المعجمية مختلفة من حيث البنية (صرفيًا)، ولا علاقة بين المعاني المختلفة للصورة الواحدة. وأما (polysemy) فهو كلمة واحدة (مادة معجمية) لها مجال دلالي واسع، تتعدد فيه معاني هذه المادة، أصل البنية واحد أي أنها كلمة واحدة، يغلب أن يكون ثمة علاقات واضحة بين المعاني المختلفة لهذه المادة، نسبة كبيرة من ألفاظ اللغة تدخل في هذا القسم(٣). وقد أكد "البعلبكي" هذا التفريق في معجمه فذكر أن (homonymy) له معانٍ عدة لا تخرج في مجملها عن كونها اشتراكًا أو تجنيسًا في اللفظ. أما (polysemy) فقد ذكر له معاني عدة تفيد جميعها التعدد في الدلالة أو أن اللفظ الواحد يدل على أكثر من معنيين(٤).

---

(١) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تعريب د. كمال بشر، ط القاهرة، دار غريب، ١٩٩٧م، ص١٣٢.

(٢) السابق نفسه، ص١٣٣.

(3) David Crystal: A Dictionary of linguistics and phonetics, Black well, third edition, oxford,1991.

(4) Baalbaki :A dictionary of linguistic terms, dar el elm lil Malayin,1990, p 385, 229.

أما القدماء من اللغويين فقد اصطلحوا على هذه الظاهرة بمصطلح (المشترك اللفظي) وهو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى، وقد عرَّفه "سيبويه" بقوله: «اعلم أن من كلامهم اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»[١]، ويقول "ابن فارس" تحت عنوان (باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق): «يكون ذلك على وجوه ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماء، وعين الركية، وعين الميزان»[٢]، كما عرفه "السيوطي" بقوله هو: (تشابه اللفظين في اللفظ)؛ فلا يبدو من كلام اللغويين العرب الأوائل أنهم يفرقون بين (الاشتراك اللفظي)، و بين (تعدد المعنى) على النحو الذي سبق توضيحه، فالمفهوم منهما عندهم كما يبدو واحد، وهو عكس ما يفهم من الترادف تمامًا. فإذا كان الترادف يعني اتحاد المعنى وتعدد اللفظ، فإن الاشتراك اللفظي يعنى اتحاد اللفظ في الصيغة، والنطق، والكتابة، والأصل في أغلب الأحيان أيضًا مع تعدد المدلول، أو بتعبير آخر هو (إطلاق كلمة واحدة في اللغة على معنيين فأكثر على السواء[٣] دون شرط ارتباطها بالسياق الكلامي. كما تطلق في العربية مثلاً كلمة (الخال) على أخ الأم وعلى الشامة، وتطلق كلمة (النوى) على البعد وعلى جمع النواة.

ولذلك حاول بعض علماء اللغة المعاصرين التفريق من حيث المفهوم بين "الاشتراك اللفظي"، أو ما يسمونه بـ"homonymy" وبين "تعدد المعنى للفظ الواحد" أو ما يطلقون عليه "polysemy"، وينظرون إليهما على أنهما موضوعان مستقلان، يتناول أولهما تلك الألفاظ التي تتطور في شكلها وبنيتها الخارجية تطورًا متوازيًا ممتدًا حتى تتقابل وتتقارب وربما تتفق اتفاقًا تامًا وبطريق المصادفة في أصواتها وصورة نطقها، على الرغم من اختلاف معانيها وصورة كتابتها، كما في الكلمتين الإنكليزيتين: see التي تعني بالعربية (يرى) و sea التي تعني (البحر)، وكذلك الكلمتين flour التي تعني (الدقيق أو لب القمح) وكلمة flower التي تعني (الزهرة)، بينما يتناول الموضوع الثاني تلك الكلمات التي تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة منها إلى أن تتباعد (بعضها عن بعض في خطوط متفرقة)[٤] وعلى هذا الأساس فإن هذه الكلمات تعد من ضمن (المشترك اللفظي) وليست من (متعدد المعنى)؛ لعدم وجود ما يشعر متكلم اللغة العادي بوجود علاقة بين كل زوج من هذه الكلمات، وعدم وجود ما يدل دلالة قاطعة على انحدارهما من أصل واحد.

وبهذا فإن مصطلح "المشترك اللفظي" وفق هذا المفهوم يعني التكرار مع التغير، ولكنه يتضمن وجود أكثر من كلمة بصيغة واحدة. بينما يتضمن المصطلح الآخر وجود كلمة واحدة بنفس الصيغة والشكل لأكثر من معنى واحد، أو بمعنى آخر أن الاشتراك اللفظي يعني وجود كلمات منحدرة من أصول

---

(١) الكتاب: تحقيق أ. عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م ١/ ٧.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة، الصاحبي فى فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق د. مصطفى الشويمي، بيروت، ١٩٦٤م، ص٢٠١، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، محمد أو الفضل إبراهيم، ط دار الحرم للتراث، د.ت، ١/٣٧٣-٣٧٥.

(٣) المزهر، ١/٣٦٩.

(٤) انظر أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص١٣٣،٧٢، ١٤٧.

مختلفة وذات مدلولات مختلفة أيضًا ولكنها متقاربة أو متطابقة من حيث الصيغة أو النطق. بينما يعني "تعدد المعنى" وجود كلمة واحدة منحدرة من أصل واحد لها أكثر من مدلول، وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن مصطلح (الاشتراك) يمكن أن يدل على النوعين معًا، ويكون التخصيص بإضافة لفظتي (اللفظي، والمعنوي)؛ فيطلق المشترك اللفظي علىhomonymy، والمشترك المعنوي علىpolysemy[1].

ورغم ما يوجد من تفريق دقيق بين مفهومي المصطلحين السابقين، إلا أن هناك بعض التداخل الملحوظ بينهما. وهذا التداخل يرجع إلى:

١. إدخال بعض كلمات (المشترك اللفظي) عند بعض العلماء ضمن (متعدد المعنى) لمجرد تطابق هذه الكلمات في النطق أو الصياغة، وعدم إدراك أو ملاحظة العلاقات بينها، ومنه (العَرْض) فتعني ما يكون من الأثاث، كما تعني عرض البضاعة على السوق، وهي خلاف الطول، وهي سفح الجبل[2].

٢. كما يعد التندر أو الإلغاز سببًا من أسباب اللعب بالكلمات؛ فيحدث تداخلاً بين متعدد المعنى polysemy، والمشترك اللفظي homonymy؛ أي في استطاعة المتكلم أن يتلاعب بالمعاني المختلفة للكلمة الواحدة، كما يتلاعب بالكلمات المختلفة المتحدة الصيغة؛ فمن الأول ما حدث بين "الحجاج" وأحد خصومه، إذ قال له متوعدًا: (لأحملنك على الأدهم؛ "يريد القيد"، فقال الرجل: مثل الأمير يُحمل على الأدهم والأشهب؛ "يريد الفرس" فقال الحجاج: ويلك، إنه لحديد، فرد الرجل: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا)، ومن النوع الثاني: قول الشاعر:

يا سيدًا حاز لطفًا له البرايا عبيد

أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيد

فـ(يزيد) من المشترك اللفظي، إذ قد يكون معناها هنا (يزيد بن معاوية)، وقد يكون معناها (يزداد)[3].

ولذلك حرص اللغويون المحدثون على وضع بعض المعايير للتمييز بين متعدد الدلالة، والمشترك اللفظي في الاستعمال، وهي قسمان معايير صرفية وأخرى دلالية. أما الصرفية فتتمثل في:

١. **الاشتقاق:** فبالرجوع إلى المعجم للبحث عن اللفظين المتداخلين؛ فإذا وجدنا صيغًا متماثلة لها مصادر مختلفة فستعامل هذه الصيغ باعتبارها من نوع الهومونيمي وستفرد لها مداخل منفصلة، ولو وجدنا أنها ذات أصل واحد حتى لو كان لها معانٍ مختلفة، فسوف نعاملها على أنها من نوع

---

(١) الأزهر الزناد: مبحث الاتساع في الدلالة المعجمية (المشترك في العربية)، ط حوليات الجامعة التونسية، ١٩٩٥، ص ١٧٤.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، تحقيق د. عبد المجيد دياب، [ط دار الفضيلة، ١٩٩٨]، ص٤٦.

(٣) د. كمال بشر، من تعليقاته على كتاب دور الكلمة في اللغة، ص ١٤٥.

البوليزيمي وستجعل لها مدخلاً مفردًا في المعجم[١]؛ فمن الأول إطلاقهم (القانع) على السائل، والراضي بما قسم له، بالرغم من اختلاف مصدرهما؛ فـ(القانع) بمعنى الراضي مشتقة من (قنِع، يقنَع) على وزن (شرِب، يشرَب)، ومصدرها قناعة، وقَنَعا، وقنعانًا. أما (القانع) التي تعني السائل فهي من (قنَع، يقنَع) كصنع يصنع، ومصدرها لا يأتي إلا على وزن (فُعول)[٢].

ومن الثاني الفعل (أدرك) له عدة معاني توجد بينها علاقة ما، ويساعد السياق على تحديد المعنى المراد فمن معانيه: (مشى حتى أدركه) أي لحق به، و(عاش حتى أدرك زمانه) أي عاصره، و(أدرك ببصره) أي رأى، و(أدرك الغلام أو الثمر) أي بلغ[٣].

إلا أن اللغويين المحدثين يستدركون عليه بأننا لا نستطيع أن نفصل بين البوليزيمي والهمونيمي عن طريق مراجعة المعجم فقط، لأن الأحكام التي يطلقها مصنف المعجم غالبًا ما تبدو عشوائية.

٢. **الصيغة:** ويتأكد ذلك من أن لفظة (عين) لها معانٍ عدة إلا أن هذه المعاني لا تقبل كل صيغ الجموع فتجمع على (عيون) إذا دلت على (الجارحة، أو منبع الماء، أو الجاسوس). على حين تجمع على (أعين) إذا دلت على الجارحة فقط، بينما تجمع على (أعيان) للدلالة على الأشراف من القوم، وهي لا تقبل الجمع مطلقًا إن دلت على المال، وهي في صيغة المفرد تحتمل كل هذه المعاني؛ ويعد السياق هو المعوّل عليه في التمييز بين المعاني المحتملة للفظ الواحد[٤].

أما المعيار الدلالي فيتمثل في:

١. **المعنى المركزي أو لب المعنى:** يمكن من خلال الاعتماد على هذا المعيار أن نفرق بين المتعدد والمشترك؛ فمن الأول الألفاظ التي انتقلت من معناها اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي كألفاظ العبادات، وكذلك يمكن عد المعاني المجازية كـ(الاستعارة، والتورية) منها أيضًا؛ وهذا يمثل المشترك. أما المتعدد ففيه تكون الكلمة الواحدة لها عدد من المترادفات كل واحد يمثل معنى من معانيها، وكذلك مجموعة من الأضداد[٥].

٢. **التقارب المعنوي:** فإذا تقاربت معاني اللفظ الواحد فإن الكلمة الدالة على تلك المعاني تعد من قبيل المتعدد المعنىpolysemy، كما في لفظة رقبة neck التي تعني جزءًا من الجسم، وياقة القميص أو الثوب، وعنق الزجاجة، وشريط ضيق من الأرض[٦]. فهناك معنى مركزي في اللفظة هو معنى الجزئية ومعانٍ هامشية؛ تتمثل في جزء من الثوب، أو من الزجاجة، أو من الأرض. وإذا انقطعت

---

(١) بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص١٠٦.

(٢) الشيخ أحمد الحملاوي: كتاب شذا العرف في فن الصرف، ط المكتبة الثقافية، د.ت، ص٧٠.

(٣) د. كمال بشر، من تعليقاته على كتاب دور الكلمة في اللغة، ص ٧٢.

(٤) مبحث الاتساع في الدلالة المعجمية، ص١٧٥،١٧٦.

(٥) بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ص١٠٨بتصرف.

(٦) جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى التوني، ط دار النهضة العربية، ١٩٨٧م، ١/٢٠٠.

معاني اللفظ بعضها عن بعض؛ فالكلمة من المشترك المتماثل اللفظ Homonym، ومن ذلك لفظة (الخال) التي تطلق على أخي الأم، وعلى الشامة على الخد، وعلى لواء الجيش. إلا أن المعيار الدلالي يشوبه كثير من الخلط والاضطراب؛ لأن المفردات ليس لها عدد محدد من المعاني المميزة، وجوهر اللغات الطبيعية أن تتحول المعاني المعجمية فيها من معنى إلى آخر، وأن تقبل الاتساع بغير حدود[١]؛ ومن ثم يرجح التخلي عن المعيار الدلالي والاكتفاء بالمعيار الصرفي لحل هذه المشكلة؛ لكون قرابة المعنى مسألة تقريبية أما الصيغة والاشتقاق فهما معياران ثابتان يمكن الاعتماد عليهما في التمييز بينهما، وهكذا نجد أن الفيصل في الفرق بين (تعدد المعنى، والمشترك اللفظي) يرجع إلى الصيغة، والاشتقاق، والسياق أيضًا قبل أن نقول بالمشترك أو تعدد المعنى.

أما البلاغيون فعبروا عن المشترك اللفظي بلفظ (التجنيس) ومفهومه عندهم أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً، بل يكونان حقيقيين[٢]، وهو ثلاثة أنواع:

١. المماثل، وفيه يكون اللفظان المتجانسان اسمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم ٥٥)، فالمراد بالساعة الأولى القيامة، والثانية الساعة الزمنية، ومنه قول "أبي تمام":

عدَاكَ حَرّ الثُّغُور المسْتَضامة عن بَرَدِ الثُّغُور وعن سَلْسَالِها الخَصِبِ

فالثغور جمع (ثغر)، وهو واحد الأسنان، وهو أيضًا البلد الذي على تخوم العدو[٣].

ومنه كذلك أن يحتمل اللفظ معنيين، أحدهما يلائم السياق الذي يستخدم فيه اللفظ والآخر لا يلائمه ولا دليل عليه، وذلك كقول "الفرزدق":

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُمَلّكًا أبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

فقوله: (حَيٌّ)، يحتمل القبيلة، ويحتمل الواحد الحَيَّ[٤]. وهذا الشاهد، كما هو واضح مشابه لسابقه، ما عدا أن المعنى الآخر للفظ غير واضح، أو لا وجود لقرينة لفظية، أو سياقية تدل عليه في النص الذي استخدم فيه، وهذا بالطبع لا يخرجه عن كونه مشتركًا في الأصل.

٢. المستوفي، وفيه يتفق اللفظان خطًا وصوتًا، ويكونان من نوعين مختلفين كاسم وفعل، ومنه قول "محمد ابن كناسة الأسدي" يرثي ابنه:

وسميته يحي ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

فـ(يحي) الأولى علم، و(يحيا) الثانية بمعنى يعيش[٥].

---

(١) السابق نفسه، ٢٠١/١بتصرف.

(٢)ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة،ط نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م، ٢٦٢/١، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ٣١٠/٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١/ ٢٦٣.

(٤) الحسن ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت دار الجيل، د.ت، ٩٦/٢.

(٥) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م، ٩٢/٦ .

٣. المتشابه، وفيه يتفق اللفظان خطًا؛ كقول أبي الفتح البستي:

إذا ملك لـم يكـن ذا هبـة فدعـه فدولتـه ذاهبـة

فـ(ذا هبة) الأولى بمعنى صاحب هبة وعطاء، والثانية بمعنى زائلة غير باقية[١].

وعلى هذا فإن التجنيس هو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها، وهو المشترك ومـا عـداه ليس من التجنيس الحقيقي في شيء، وهو يمثل نوعًا من أنواع الهومونيمي عنـد اللغـويين؛ لكونـه يشتمل على المتشابه خطًا لا صوتًا، أو صوتًا وخطًا فيسمونه بـ(المشترك الـصفري zero change أو المشترك الكاذب، كما في (أنَّ، وأنَّ) فهما متفقان خطًا وصوتًا، ومختلفان معنىً وأصـلاً، فـالأولى حرف توكيد ولا ينصرف، والثانية يئن أنينًا؛ أي تألم[٢].

أما المفسرون فقد أولوا هذه الظاهرة عناية فائقة؛ فخصصوا لها مؤلفات بعينهـا عرفـت بكتـب الوجوه والنظائر تُعنى برصد الألفاظ القرآنية التي تتعدد معانيها بتعدد سياقاتها الواردة فيها؛ يقول "ابن الجوزي": (معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن، على لفـظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر؛ فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير المعنى الآخر هو الوجـوه؛ فـإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني)[٣]، ومنه في سورة "يوسف" (أمة) التي جاءت في القرآن بمعنى: (الجماعة من الناس، والحين، والدين).

فإذن "الوجوه" اصطلاح يدل على المعاني المختلفة للفظ واحد أو على المقاصد المختلفة مـن اللفظ الواحد في السياقات أو المواضع المتعددة. هذه المعاني والمقاصد قد يربط بينها رابط نتبينـه، أو لا نتبينه لغموض العلاقة أو لقدم الألفاظ حيث ضاعت أصول معانيهـا القديمـة لمـا اعتراهـا مـن التطورات الدلالية عصرًا بعد عصر حتى تغير لونها وظاهر شكلها[٤]؛ ومن ثم فـ"علـم الوجـوه والنظائر" يشكل فَرْعًا من فروع الدراسات القرآنية ذات الصلة الوشيجة بالدراسات اللغويـة الدّلاليـة، لأن فيه تعدد الوجوهّ (المعاني) للفظ الواحد في التعبير القرآني، مما يظهر ثراء اللغة.

ويعد أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم كتاب (الأشباه والنظائر)، لمقاتـل بـن سـليمان (ت ١٥٠هـ)[٥]، حاول فيه حصر – وجوه– كثير من الألفاظ، والعبارات، والحروف الواردة فـي القـرآن الكريم، مستشهدًا على كل وجه بِعَدَدٍ من آيات القرآن. وكانت عنايته واضحة بشرح معنى اللفظ فـي سياقاته المختلفة، فيذكر المعنى الأصلي للفظ، ثم يذكر بقية المعاني الفرعية.

---

(١) السابق نفسه، ٩٣/٦ .

(٢) أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، ص١١٨.

(٣) جمال الدين بن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كـاظم الراضـي، ط١ مؤسـسة الرسـالة، ١٩٨٤م، ص٨٣.

(٤) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص ٤٣.

(٥) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وتحقيق د. عبد الله شحاتة، ط دار غريب، ٢٠٠١م.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى جهود الأصوليين ولاسيما "الغزالي" في تحديد مفهوم المشترك اللفظي، يقول: (هو ما وضع بالوضع الأول مشتركًا للمعنيين لا على أنه استحقه أحد المسميين، ثم نقل عنه إلى غيره) ؛ أي أنه اللفظ الموضوع لمعنيين على التساوي في الاستحقاق، دون أن يكون أحد المعنيين بأولى من الآخر في ارتباطه بذلك اللفظ، ومن أمثلته لفظ (العين) الذي يدل على ينبوع الماء، والدينار، وقرص الشمس دون أن يكون هناك صلة واضحة بين هذه المعاني الثلاثة تدعو إلى القول بأن اللفظ وضع لأحدها ثم نقل إلى الآخرَين. بل إن لفظ (العين) يستحق جميع هذه المعاني على التساوي[١].

ويزيد "الغزالي" الأمر وضوحًا فيفرق بين المشترك، والمنقول، والمستعار؛ فيخرج المنقول والمستعار من المشترك اللفظي، فيذكر أن (المنقول): (هو الاسم المنقول عن موضوعه الأول إلى معنى، ويُجعل اسمًا ثابتًا دائمًا، ويستعمل أيضًا في الأول فيصير مشتركًا بينهما)[٢]؛ أي أنه لفظ نقل عن مسماه إلى مسمى آخر على سبيل الثبات لعلاقة بينهما، ثم استخدم في المعنيين معًا، ومن أمثلته (الحج) فقد وضع في الأصل للقصد، ثم نقل للدلالة على فريضة الحج المعروفة في الإسلام؛ وبالرغم من دلالة اللفظ المنقول على معنيين إلا أن أحدهما أكثر استحقاقًا به من الآخر وهو الموضوع له في الأصل، وهو ما عُرف عند اللغويين بـ(النقل الدلالي).

وأما (المستعار) فهو الاسم المنقول مؤقتًا إلى غير ما وضع له لعلاقة بينهما، وقد عرفه "الغزالي": (بأن يكون الاسم دالاً على ذات الشيء بالوضع، ودائمًا من أول الوضع إلى الآن، ولكن يلقب به في بعض الأحيان لا على الدوام شيء آخر لمناسبته للأول على وجه من وجوه المناسبات من غير أن يجعل ذاتيًا للثاني، وثابتًا عليه، ومنقولاً إليه)[٣]، ومن أمثلته لفظ (أُم) الذي وضع للوالدة، ثم استعير للأرض، فقيل (أم البشر).

وكما هو واضح فإن الفرق بين المشترك من جهة، والمنقول، والمستعار من جهة أخرى هو أن المشترك لا وجود لعلاقة بين معنييه (أو معانيه)؛ أي أن كلا معنييه حقيقة، في حين أن معنيي (أو معاني) المنقول، والمستعار يرتبطان بعلاقة مجازية. أما الفرق بين المنقول والمستعار فهو أن النقل ثابت في المنقول، ومؤقت في المستعار[٤].

أراء العلماء فيه:

أولهما: فريق يضيق مفهومه فيرجع المعاني إلى معنى واحدٍ[٥]؛ ومن ثم فهم ينكرون المشترك للأمور التالية:

---

(١) الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٧.

(٢) السابق نفسه، ص٥٦.

(٣) السابق نفسه ص٥٦.

(٤) السابق نفسه، ص٥٦.

(٥) منهم ابن درستويه.

١. ليس من الحكمة والصواب أن يقع المشترك اللفظي في كلام العرب لأنه يلبس، وواضع اللغة – وهو الله ﷻ– حكيم عليم، فقد وضع الله تعالى اللغة للإبانة عن المعاني.

٢. لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على المعنيين المختلفين لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية.

٣. الذين جوزوا وقوع المشترك اللفظي متوهمون مخطئون، والمثل على ذلك مجيء (فعل، وأفعل) لمعنيين مختلفين في نظر المجوزين فمن لا يعرف العلل، ويتعمق في دراسة الكلمات يحكم هذا الحكم مع أنهما في الحقيقة لمعنى واحد، كـ(أقسط الرجل): إذا عدل، فهو مقسط، والقسط: إذا جار فهو قاسط، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن/١٥)، فهو كما قال، ولكن الأصل فيهما من القسط، وهو العدل في الحكم، والتسوية بين الخصوم، وفي الأنصباء. وإذا وقع في كلام العرب أنهما لمعنيين مختلفين؛ فإنما يرجع ذلك إلى لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار وقع في الكلام.

٤. ويضربون مثلاً على توهم المجوزين بلزوم الفعل وتعديته، وذلك أن الفعل لا يتعدى فاعله، فإذا احتيج إلى تعديته لم يجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يتغير إلى لفظ آخر بأن يزاد في أوله الهمزة، أو يوصل به حرف جر ليستدل السامع على اختلاف المعنيين.

٥. ويرى "ابن درستويه" أن بعض هذا الباب، ربما كثر استعماله في كلام العرب حتى يحاولوا تخفيفه، فيحذفوا حرف الجر منه؛ فيعرف بطول المادة، وكثرة الاستعمال، وثبوت المفعول، وإعرابه فيه خاليًا عن الجار المحذوف(١).

ويخلص هذا الفريق إلى قاعدة مُفدها أن المشترك لا يقع إلا في لفظة تؤدي إلى معنيين مختلفين كل الاختلاف، وليس بينهما أدنى ملابسة، أو أية علاقة، أو أي نوع من أنواع الارتباط. أما إذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل، وأن الآخر مجاز له فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره(٢).

أما الفريق الثاني فيوسع مفهوم الاشتراك فلا يشترط رجوع المشترك إلى معنى واحد(٣) وذلك للأمور التالية:

١. ما ذكره الأقدمون والمتأخرون من أن المشترك اللفظي وقع في القرآن الكريم بكثرة سواء كانت المعاني الدلالية للفظة الواحدة متقاربة أو متباعدة.

٢. ما ذكره "مقاتل بن سليمان" في صدر كتابه المصنف في هذا المعنى حديثًا مرفوعًا، وهو: (لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة)(٤)، وقد فسر بعضهم هذا الحديث المرفوع

---

(١) المزهر: ١/ ٣٨٤-٣٨٥ بتصرف، وعبد العال سالم مكرم: المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، ط الكويت، ١٩٩٤م، ص١٢-١٣.

(٢) د.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط ٦، الأنجلو المصرية، ١٩٩١م، ص٢١٣، والمشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن، ص١٥.

(٣) من هؤلاء المبرد وآخرون، ينظر: المزهر، ١/ ٣٨٨.

(٤) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٨م، ١/٣٨٧.

بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد.

٣. اتفاق علماء اللغة المحدثين على أن ظاهرة المشترك اللفظي تقع في كثير من اللغات، وهذا هو "ستيفن أولمان" يقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن: (اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الفِكَر المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة، وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعًا من المرونة والطواعية؛ فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة)[١].

٤. كثرة ورود المشترك اللفظي في معاجم اللغة[٢]؛ فالعلماء متفقون على وقوعه في الحروف؛ لدلالة الحرف الواحد على معان عدة، كما وقع في نحو: (دلالة الماضي على الخبر والدعاء)، وكذلك يقع المشترك في الأسماء؛ كدلالة لفظة (عين) على الباصرة، والجاسوس، وعين الماء.

٥. يُرجح وقوع المشترك عقلاً؛ لكون الألفاظ محدودة، والمعاني غير محدودة؛ ولذا يُعبر باللفظ الواحد على معنيين أو أكثر[٣].

أقسامه:

١. قسم يتفق فيه اللفظان ويختلف المعنيان، وهذا الاختلاف قد يكون فيه علاقة مثل كلمة (البشرة) التي تعني جلد الإنسان في الحقيقة، وتستعمل كذلك لعلاقة المشابهة بمعنى النبات[٤]. وإما أن يكون على غير علاقة بين المعنيين، من ذلك كلمة (أرض) إذ تعني الكوكب الذي نعيش عليه كما تعني قوائم الدابة والزُكام[٥]، ومنه (الضلالة) فقيل إنها تعني: (الذهاب عن الصواب، والحب، والشقاء)[٦].

٢. قسم يدل فيه اللفظ على معنيين متضادين مثل: (الجون) للأسود والأبيض، و(الجلل) للصغير والكبير[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف/٢٠)؛ أي (باعوه).

أسبابه:

١. **اختلاف اللهجة:** فإذا نظرنا إلى اللفظة في لهجة واحدة لم يكن فيها اشتراك. أما إذا نظرنا إليها من خلال لهجتين مختلفتين في دلالة لفظة واحدة وجد المشترك، ومن ذلك إطلاقهم (الخمر) على العنب في لهجة اليمن، ويحدث ذلك في مرحلة الجمع وتدوين المعجمات.

---

(١) دور الكلمة في اللغة، ص١١٥.

(٢) المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، ص١٢-١٣.

(٣) المزهر: ١/ ٣٧٠.

(٤) د. أحمد مختار: علم الدلالة، ط٥ عالم الكتب، ١٩٩٨م ص١٥٨.

(٥) المزهر ١/٣٧١.

(٦) ينظر من هذا المبحث ص٢٢.

(٧) المزهر، ١/ ٣٨٨.

٢. **تغيير النطق:** وهو إما أن يكون عن طريق القلب المكاني مثل: (خطا) من الخطو، والفعل (خـــاط) من الخياطة ولكن بقلب (خطا) إلى (خاط) صارت الكلمة الأخيرة من المشترك اللفظي. وإما أن يكون عن طريق الإبدال نحو: (حنك، وحلك) فلهما معنيان مختلفان ولكن العرب استعملتهما بمعنى واحد هو السواد؛ فعن طريق إبدال اللام نونًا طابقت الكلمة الثانية الكلمة الأولى في النطق، وصار عندنا كلمـــة واحدة بمعنيين مختلفين[١].

٣. **تغيير مجال الاستعمال:** فيوجد عندما يراد إدخال كلمة ما في لغة المتخصصين فتصبح مـــصطلحًا علميًا، نحو: (فاعل) فلها معنى في علم النحو يختلف عن معناها في الجنايات، فهي تدل على الجاني، كما أن لها معني آخر عند عمال البناء.

٤. **المجاز:** وفيه يتحول استعمال الكلمة من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، ومن ذلك كلمة (اليـــد) التي تعني في الأصل الكف، ثم صارت الكلمة تدل على النعمة والإحسان؛ لأنهما يكونـــان بالإعطـــاء الذي تكون وسيلته اليد، يقول الشاعر:

له علـــيَّ أيـــادٍ لـــست أكفُرُهـــا وإنما الكُفر ألا تُشكَرَ الـــنِعمُ[٢]

كما أن الكلمة تعني أيضًا بطريق المجاز القوة، والسلطان، والطاعة، والقدرة.

٥. **الاقتراض من اللغات الأخرى:** إذ يحدث أن يدخل اللغة ألفاظ أعجمية تشبه في صورتها ونطقهـــا ألفاظًا أخرى في اللغة الأصلية المقترِضة فينشأ عن ذلك كلمتان متحدتان في النطـــق مختلفتـــان فـــي المعنى وتنتمي كل واحدة منهما في الأصل إلى لغة مختلفة كما في كلمة (كلية) التي هي في الحقيقـــة كلمتان إحداهما سامية الأصل تعني العموم والشمول، وثانيهما ترجع إلى الأصل الإنجليزي College التي تعني تلك المؤسسة العلمية التي تنضوي تحت لواء الجامعة[٣]. ومن ذلك: العم أخو الأب، والعـــم الجمع الكثير، والثانية مقترضة من العبرية؛ فـــ(عم) في العبرية تعني شعب[٤] .

٦. **التطور الدلالي:** وهو **إما بالتخصيص:** وفيه تدل اللفظة على معنى معين عـــام، فيتقـــادم الـــزمن بتناسي المعنى العام؛ لتستعمل الكلمة في معنى خاص؛ فمن ذلك جميع المفردات التـــي كانـــت عامـــة المدلول، ثم شاع استعمالها في الإسلام في معانٍ خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر، أو الـــنظم الدينيـــة كالصلاة والحج، والصوم، والمؤمن والكافر، والمنافق، والركوع والسجود... فالصلاة مـــثلاً معناهـــا في الأصل: الدعاء ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها علـــى مظهـــر مـــن مظاهر الدعاء حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى. **وإما بالتعميم:** وفيه تكون

---

(١) علم الدلالة، ص١٦١.

(٢) انظر لسان العرب، مادة (ي.د.ي).

(٣) د. عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، ١٩٨٦م، ص٢٣٢.

(٤) المزهر: ١/٣٧٠.

اللفظة دالة على معنى خاص في أصل وضعها ثم تتطور إلى معنى عام بتقادم العهد؛ فـ(البأس) في الأصل: الحرب، ثم كثر استخدامه في كل شدة؛ فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه[١].

٧. كما ينشأ المشترك أحيانًا في ظروف لغوية معينة يُعدل فيها عن المعنى الأصلي للفظ إلى معنى آخر مباين أو مضاد لمعنى اللفظ المتعارف عليه بهدف التفاؤل، أو التأدب، أو التهكم والسخرية، أو التهويل والتعظيم، أو اجتناب التلفظ بما يمجه الذوق[٢]، أو بما يكره، أو يحرج، أو يؤلم، المخاطب، أو يحدث له أو للمتكلم ضرراً ، ثم يرجع إلى استعمال المعنى الأصلي في ظروف لاحقة أخرى، وهكذا يحصل التناوب والتبادل بين المعنيين أو المعاني، وقد تصبح هذه المعاني نتيجة لكثرة هذا التناوب والتبادل في مستوى واحد من الاستعمال والدوران، ولا ينفك أي منها عن الارتباط باللفظ؛كقولهم للأعمى بصيراً، ونقول لمن ذهب بصر إحدى عينيه كريم العين، للتأدب، ويطلق على المهلَكة لفظ المفازة على جهة التفاؤل، كما يسمى العطشان ريانًا، والأسود أبو البيضاء[٣].

شروطه:

لما كانت غاية اللغة الوضوح والإبانة، وقد يؤدي المشترك إلي الغموض حرص اللغويون على وضع شروط تجنب اللغة الغموض الذي يؤدي إلى التشويش والإيهام في فهم المراد، أو يؤدي إلى الصراع بين الكلمات المتداخلة والمعاني المُلبسة؛ وهي:

١. هجر أحد المعنيين وتركه بالكلية لتصادمه مع المعنى الآخر وكثيرًا ما يهجر المعنى الأول ويبقى المعنى الثاني إذا ما حدث الاحتكاك ويشترط لحدوث هذا الاحتكاك الأمور الآتية:

- أن تكون الكلمتان مستعملتين في نفس المجال اللغوي وفي طبقة اجتماعية واحدة؛ ولذلك لا يحدث احتكاك بين اللفظين a near (كُلية) an ear (أُذن)؛ وذلك لاختلاف مجال استعمال كلٍ منهما[٤].
- أن تكون الفترة الزمنية واحدة؛ فلا يمكن أن يعد اللفظ الذي هُجر في وقت ما متأثرًا بلفظ آخر لا يشترك معه في الفترة الزمنية.
- أن تنتمي كلمتا المشترك اللفظي إلى نفس النوع الكلامي وأن يردا في نفس التراكيب النحوية؛ فليس من المحتمل نشوء صراع بين اسم وفعل، أو اسم وصفة، ومن ذلك (أجمَّ الأمر) إذا اقترب، و(رجل أجم) إذا كان بدون رمح، وهي هنا وصف[٥]؛ فلا يعدان من المشترك، أو مفرد وجمع، كما ليس من المحتمل نشوء صراع بين لفظين يختلفان في التراكيب النحوية التي يردان فيها.

---

(١) د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ط دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.، ص٣١٩، ٣٢٠، والمشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، ص١٠-١١.

(٢) دور الكلمة في اللغة ، ص ١٤٢.

(٣) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب، والمزال عن جهته والأضداد، ثلاثة كتب للأضداد: للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت ويليها ذيل للصغاني، نشر وتحقيق أوغست هفنر ، ط بيروت ١٩١٢م، ص ١٢٧.

(٤) دور الكلمة في اللغة، ص١٣٠ – ١٣٢.

(٥) د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص١٥٩.

• أن تتحد كتابة الكلمتين كما في كلمة (قَدَحٌ) اسم لما يشرب فيه، مع كلمة (قَدَحَ) فعل بمعنى طعنه في نسبه. أما اختلاف كتابتهما فقد يعمل على الاحتفاظ بهما بعيدتين عن الاحتكاك[١].

٢. بقاء اللفظين مع الاعتماد على السياق أو القرينة الخارجية لتحديد المعنى المراد، ومنه نفوذ السياق الذي يجعلنا نعطي كلمة ما بضعة معانٍ مختلفة دون خشية الخلط، ومثال ذلك لفظة (عين)، حيث تتخذ معاني مختلفة لاختلاف الأسلوب والسياق الذي ترد فيه[٢].

٣. تغير صيغة إحدى الكلمتين حتى تأخذ شكلاً خاصًا بها يميزها عن الكلمة الأخرى، ومن أمثلة ذلك في اللهجة الليبية كلمة (رقبة) التي تنطق (رّكبة)، وبهذا تلتقي في النطق مع كلمة (ركبة) الموجودة بالفعل؛ ولكن لأمن اللبس بالغ الليبيون في جهر كاف الكلمة الأولى وهمس كاف الكلمة الثانية[٣].

٤. عدم استخدام بعض الكلمات التي ينبغي أن تنطق بإبدال صوتي معين (طبقًا لنظام اللهجة الصوتي)؛ وذلك لأنها لو استخدمت بعد إبدالها الصوتي لطابقت كلمة أخرى موجودة بالفعل في اللغة، من أمثلة ذلك كلمة (ضرس) التي تنطق ضادها دالا لأمن اللبس. ولكن في (أسنانه تضرس) حوفظ على الضاد حتى لا يلتبس اللفظ بكلمة (تدرس) المستعملة في اللهجة العامية[٤].

٥. وقد ينتج عن صراع المعاني بين كلمات المشترك اللفظي تحديد استعمال الكلمات؛ فتخصص كلمة منه بمجموعة أو مهنة أو دائرة معينة، كما هو الحال في (جذر) التي يكون لها معنى عند عالم النبات والفلاح، يختلف عنه عند عالم اللغة والرياضيات[٥].

٦. كما يشترط للمشترك وحدة اللهجة؛ ومن ذلك لفظة (سيد) فتعني الأسد في لهجة هذيل، والذئب، والملك، والرئيس عند عامة العرب[٦] ؛ ومن ثم فلا تعد من المشترك.

أهميته:

١. لما كانت المعاني غير محدودة، والألفاظ من خلال أصواتها عناصر محدودة، لزم أن يُعبر باللفظ الواحد عن معانٍ مختلفة؛ لتعويض النقص في أصوات اللغة وحروفها؛ وبذلك تكتسب الكلمات نفسها نوعًا من المرونة والطواعية فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة.

٢. يعمل المشترك اللفظي على إثارة الذهن ولفت الانتباه، ومن ذلك الجناس والسجع والتورية وأسلوب الحكيم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم/ ٥٥)، ومنه قول أبو العلاء المعري:

لم تلق غيرك إنسانا يُلاذ بـه فلا برحت لعين الدهر إنسانا[٧]

---

(١) دور الكلمة، ص١٢٨، ود. أحمد مختار، علم الدلالة، ص١٨٥.

(٢) د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص١٨٦، فندريس: اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، ط القاهرة، د. ت ص٢٢٨.

(٣) د. أحمد مختار: علم الدلالة، ص١٨٧.

(٤) علم الدلالة، ص١٨٨، دور الكلمة في اللغة، ص١٣٢.

(٥) د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص١٨٨.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، ط دار المعارف، د.ت مادة (س.و.د).

(٧) علم الدلالة، ص١٨١.

٣. استخدام المجاز في عبارات تضيف رقة وعذوبة إلى الأسلوب، ومن ذلك قول القائل: (بكت السماء) إذا أمطرت، (ضحكت الأشجار) كناية عن إزهارها وإثمارها، (وبكت الأخلاق) لموت فلان.

٤. كثيرًا ما يأتي تعدد المعنى أو نقله لسد فجوة معجمية وكثيرًا ما يرد هذا النوع في حياتنا اليومية وفي لغتنا العادية وأفضل أمثلة على هذا استخدام أعضاء البدن في كل اللغات استخدامات مجازية مع الجمادات مثل: (رجل الكرسي، وعين الإبرة، ويد القوس، وكبد السماء)[١].

٥. ينتج عنه الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تُحدث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (النور/٤٣-٤٤)؛ فـ(الأبصار) الأولى تعني (نور الأعين). وأما الثانية فتعني (العقول)؛ ومن ثم تظهر أهمية المشترك اللفظي في كونه وسيلة من وسائل التخفيف على الذاكرة، فهو نوع من تكثيف وظائف المفردات، حيث تتمكن المفردة الواحدة من أداء أكثر من معنى، واستغلاله كخاصة أسلوبية عندما يقتضى الأمر الغموض، وكذلك جعل المفردات أكثر إيحائية وإشراقًا فتظل الكلمة قادرة على التعبير لفترة أطول، وأخيرًا: سد ثغرات المعجم، حيث يكون هناك معنى جديد، لا لفظة له، فيستعين بلفظة مستعملة ويجعلها تعبر عن المعنى الآخر إلى جانب تعبيرها عن المعنى الأصلي.

أثر السياق في دلالة الألفاظ:

السياق هو علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجسامًا بلا أرواح، ولكنها حية متحركة تعطي إشعاعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المغلق منها أو المصباح الذي يهتدي بضوئه في تحديد معاني الكلمة المشتركة؛ ولهذا يُصرح "فيرث" بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ومعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أُخر، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[٣]، ومن الأمثلة على قيمة السياق في تحديد المعنى: قال "أبو الطيب" أخبرني محمد بن يحيى، قال أنشدني عمر بن عبد الله ثلاثة أبيات يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويحَ قلبي من دَوَاعي الهوَى ... إذْ رَحَل الجيران عند الغُرُوبِ ودمعُ
اتبعتهُم طَرْفي وقد أزمعوا ... عينيّ كفَيْض الغُروب
كانوا وفيهم طفْلَة حرَّة ... تفترّ عن مِثْلِ أقاحي الغُرُوب

(١) بالمر، علم الدلالة، ص ١٠٣.

(٢) الإتقان، ٣/٣١٠.

(٣) علم الدلالة، ص٦٨.

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني: جمع غَرْب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غَرَبَ: وهو الوِهاد المنخفضة[1]؛ وهكذا تعددت دلالة اللفظ الواحد (الغروب)؛ اعتمادًا على تنوع السياق الوارد فيه الكلمة. ومنه أيضًا (إن): في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف/٣)؛ فـ(إن) تحتمل عدة معانٍ منها الشرطية، والنافية، والمخففة من الثقيل؛ إلا أنه يُبعد الشرطية عدم وجود جواب لها، ويبعد النفي للمعنى، ووجود (اللام) الفارقة تؤكد كونها مخففة من الثقيل[2]، وهي مهملة وغير مختصة بالاسمية بل دخلت أيضًا على الفعلية؛ ولاسيما الأفعال الناقصة. يقول النحاة إنها تفيد التوكيد كالثقيلة، وتدخل على جميع الكلم، ويجوز فيها الإلغاء والإعمال، فإذا أُعملت لم تلزم (اللام) في خبرها؛ وعدم إعمالها لكونها غير مختصة، فإذا أُعملت كان على حذف ما بعدها من الأفعال الناسخة؛ فتكون مختصة بالأسماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ (القلم/٥١)[3]، وتعدد المعنى هنا حادثٌ من تعدد المعنى الوظيفي للفظة (إن)، وقرائن السياق المحيط باللفظ هي التي رجحت أي المعاني يراد؛ فإن تعدد المعاني أو المدلولات للكلمة الواحدة إلى الحد الذي رأيناه ليس في الحقيقة ظاهرة غريبة؛ لأن معنى الكلمة كما يقول رائد الفلسفة اللغوية في العصر الحديث (لودفج فتجنشتين) L Wittgenstein: (ليس له ثبات أو تحديد، واللغة ليست حسابًا منطقيًا دقيقًا لكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى محدد، ولكل الجمل وظيفة واحدة، وإنما تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتنا لها في اللغة العادية، وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وأن الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات)[4]؛ ومع ذلك فإن لهذا التعدد مبررات وأسبابًا ثابتة ومحسوسة يفرضها الواقع الاجتماعي وظروف الحياة المختلفة المتغيرة.

الدراسة التطبيقية

قد حصرت الألفاظ التي تعددت معانيها الواردة في سورة "يوسف"، مقارنة بين معانيها في سورة "يوسف" ومعانيها في سائر القرآن؛ موضحةً معناها اللغوي الأصلي والمعاني المجازية الأخرى المستنبطة من السياقات المختلفة للكلم؛ وذلك من خلال آراء المفسرين واللغويين، مرتبةً إياها ترتيبًا هجائيًا:

١) **(أخذ):** في قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ (يوسف/٧٩)؛ فـ(الأخذ) في اللغة هو حوز الشيء وتحصيله؛ وذلك تارة بالتناول كما في الآية، وتارة بالقهر كما

---

(١) المزهر: ١/ ٣٧٦.

(٢) أبو حيان: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوني ود.أحمد النجولي الجمل و قرظه أ.د.عبد الحي الفرماوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٥/٢٧٩، والألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م ١٠/١٧٦.

(٣) المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق د. سعيد صالح مصطفى زعيمة، ط دار بن خلدون، ص ١٤٤-١١٤.

(٤) انظر د.محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م، ص ١٠٦.

في قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ (البقرة/٢٥٥)[١]. كما يأتي (أخذ) بمعنى العقاب والجزاء[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف/٧٦) فقيل: لأنه لم يكن ليأخذ أخاه جزاء وجود الصواع عنده في دين الملك في أمر السارق إلا بذلك الكيد؛ لأن جزاء السارق أن يأخذ ويُسترَق كما هو في شريعة يعقوب عليه السلام[٣]؛ ومن ثم تكون (أخذ) بمعنى: (الحوز حقيقةً، أو مجازًا كما في القهر، والجزاء والعقاب)؛ وجميعها تظهر فيها معنى الغلبة، والسيطرة، والسلطة، والقهر.

٢) (آل): مقلوب عن أهل، إلا أنه خص بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة؛ فيقال: (آل فلان، وآل النبي)، ويصغر على (أُوَيْلاً) ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصًا ذاتيًا إما بقرابة قريبة، أو بموالاة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ (يوسف/ ٦)؛ فـ(آل يعقوب) أولاده ونسلهم، وقال "الزمخشري": هم نسلهم وغيرهم، وقيل: أهل دينه وأتباعهم، وقيل امرأته وأولاده الأحد عشر، وقيل المراد به يعقوب نفسه[٥]، وكلها معانٍ يحتملها اللفظ، ويطلق آل الرجل على أهل بيته وأقاربه الذين يضافون إلى اسمه، ويطلق على جميع أتباع الرجل؛ فمن الأول قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ (القصص/٨) إذا قلنا أن الملتقط هو شخص من أفراد الأسرة المالكة، فإن قلنا إن الملتقط هو إحدى الجواري أو الخادمات كان من قبيل إطلاقه على الأتباع كما في قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ (البقرة/٥٠)، ومن أمثلة إطلاقه على الذرية ما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/٣٣)؛ فالمراد من آل إبراهيم هنا ذريته وسلالته[٦]. والآل أيضًا: الحال التي يئول إليها أمره، كما في قول الشاعر:

سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلةٍ فَإِمَّا عليهَا وَإِمَّا لَهَا

وقيل لما يبدو من السراب (آل)؛ وذلك لشخص يبدو من حيث المنظر وإن كان كاذبًا، أو لتردد هواء وتموج؛ فيكون من آل يئول، وآل اللبن إذا خثر؛ كأنه رجوع إلى نقصان، كقولهم في الشيء الناقص راجع[٧]؛ وهكذا يتبين أن المعنى الأصلي لـ(آل) هو الدلالة على الأهل، والذرية، والأتباع، وأخذت منها معانٍ مجازية هي الدلالة على التحول من حال إلى حال، سواءً أكان من الصلاح إلى الفساد كـ(آل اللبن)، أو من الحقيقة إلى السراب كـ(آل الشيء).

---

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ط دار التحرير، ١٩٩١م، ١٢/١.

(٢) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص٥٠٢، ٥٠٣ ود. عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ط مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م، ٣٥/٢.

(٣) روح المعاني، ٤٢/١٣.

(٤) المفردات: ٣٠/١.

(٥) البحر المحيط، ٢٨٢/٥.

(٦) عبد الله العلمي: مؤتمر تفسير سورة يوسف، تقديم محمد بهجة البيطار، ط مؤسسة دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م، ٢٣٧/١، ٢٣٨.

(٧) المفردات: ٣١/١.

٣) **(أمة):** تذكر المعجمات أن (الأُمة، والإِمة): الشرعة، والدين، والطريقة، (والإمة) النعمة، قال الشاعر:

ولقد جررت إلى الغنى ذا فاقةٍ وأصاب غزوك إمة فأزالها[١]

كما جاءت في اللغة بمعنى: (الصنف من الناس والجماعة، والحين، والإمام والرباني، وجماعة العلماء، والدين)، ويقال للمسلمين: أمة محمد ﷺ لأنهم على أمر واحد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المؤمنون/٥٢) مجتمعة على دين وشرعة[٢]. أما في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف/٤٥) فهي بمعنى الحين، أو بمعنى النسيان، وقال "الزمخشري" بعد مدة طويلة. وقد وردت في القرآن بمعنى (الجماعة) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص/٢٣)، وبمعنى (جمع خصال الخير)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل/١٢٠)، أو بمعنى (الدين والملة)، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف/٢٢)[٣]، أو (العصبة) في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة/١٢٨)، أو بمعنى (الأمم الخالية)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ (يونس/٤٧)[٤]. وبمعنى (جيل من الناس)، وقد تدل على (القامة) فيقال: (فلان حسن الأمة)، وعلى الأم يقال: (هذه أمة فلان) يعني أمه[٥]. وقرأ: "الأشهب العقيلي" (بعد إمة) بكسر الهمزة، والإمة النعمة. قال "عدي":

ثم بعد الفلاح والملك والإ مة وارتهم هناك القبور

أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة. وقرئ (بعد أمه) بعد نسيان. يقال: (أمه، يأمه، أمها)، إذا نسي[٦]؛ وقد نسبت إلى تميم وقيس عيلان[٧]، والمعنى الأصلي هو (الوالدة)؛ فهي أول ما تتفتح عليه عين الإنسان، ثم أطلق اللفظ على معانٍ آخر؛ فالنعمة لعلاقة السببية، والدين لأنه أصل المعتقد، ومنه أخذت الطاعة، والرجل العالم، وجماعة العلماء، ومن الأم أُخذ الجنس أيضًا؛ لأنه أصل كل جماعة، والجيل من الناس مأخوذ من الجنس، ومن الجيل أخذ (الحين)؛ لأنه الزمان الذي يعيش فيه ذلك الجيل، وبهذه الدلالة فسرت (أمة) في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، والصلة بين النسيان والمدة من الزمن صلة سببية؛ فطول المدة من عوامل النسيان[٨]، وبيِّن من هذه الصلة أن الدلالة حديثة، وأنها كما هو واضح مرت

---

(١) اللسان مادة (أ.م.م).

(٢) تأويل مشكل القرآن، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) السجستاني: غريب القرآن تقديم وتحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١ دار قتيبة، ١٩٩٥م ص٩٠.

(٤) المشترك اللفظي في القرآن، ص١٠٠-١٠١.

(٥) الكليات ص١٨٢.

(٦) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه مصطفى حسين أحمد، ط دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ٢/٤٧٥-٤٧٦.

(٧) كتاب غريب القرآن، ص٩٠، ابن حسنون: اللغات في القرآن، حققه صلاح الدين المنجد، ط٣ دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م، ص٣٠.

(٨) ضاحي عبد الباقي: لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٥٧٠.

بمراحل دلالية سابقة وتطورت من واحدة لأخرى بطريق المجاز؛ فكانت في الأصل أمة (بمعنى والدة) ثم تطورت على النحو التالي: (جيل من الناس، حين، نسيان).

٤) **(آيات):** الآية هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره؛ فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما عُلم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حكمهما سواء؛ وذلك ظاهر في المحسوسات، والمعقولات، وهي مشتقة من (التأيي) الذي هو التثبيت والإقامة على الشيء؛ يقال (تأيَّ) أي ارفق، كما تطلق على البناء العالي[١]. أما (آيات) في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف/ ٧) فهي بمعنى العِبَر، والذِكَر، والحِكَم، والعِظات؛ وقد وردت في القرآن لمعانٍ عدة:

- الأول: بمعنى الجمل المنزلة على النبي ﷺ المقروءة باللسان، ويقال لها في غير القرآن فواصل، وسجعات، وفِقر، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[٢] (البقرة/١٠٦).
- الثاني: بمعنى العلامات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ (البقرة/١١٨)، ومنه قول النابغة الذبياني:

توهمتُ آياتٍ فعرفتُها لستةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

ومنه العلامات التي أقامها الله في الأنفس والآفاق للدلالة على وحدانيته وكماله وتنزيهه.

- الثالث: المعجزات الخارقة للعادة التي أجراها الله على أيدي رسله، ولعله قيل لها آية، لأنها علامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ (البقرة/١٤٥)
- الرابع: بمعنى جماعة، قال أبو عمرو: "خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم" ولعل هذا يرجع للأول.
- الخامس: بمعنى العجيبة، لأنها عجب من العجائب، ولعل هذا يرجع للثالث؛ ومن ثم يتبين أن المعنى الأصلي هو العلامة، والوضوح، والتثبت، وقد اُستمدت منها المعاني الآخر بطريق المجاز؛ فآية القرآن سميت آية لكونها علامة يقف عليها القارئ، والمعجزات علامة لبيان مدى قدرة الله سبحانه وتعالى، وخوارق العادات آية لإفادة العظة والعبرة.

٥) **(برهان):** هو بيان للحجة، وهو فُعلان مثل الرُجحان، وقال بعضهم: هو مصدر (بَرَهَ يَبرَهُ) إذا ابيض، ورجل أبره، وامرأة برهاء، وقوم بُرْه، والبُرهة مدة من الزمان، والبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدًا لا محالة[٣]. وتأتي في القرآن لمعنيين: أولهما يعني (الحجة)، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (الأنبياء/٢٤) يعني حجتكم بأن الله معه آلهة، وثانيهما: بمعنى (آية) وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف/٢٤) يعني آية من ربه[٤]. قال "الخليل":

---

(١) المفردات: ١/٣٣.

(٢) مؤتمر تفسير سورة يوسف، ١/ ٨٠، ٨١.

(٣) المفردات: ١/٤٥.

(٤) المشترك اللفظي في القرآن، ص٩٩.

(البرهان) بيان الحجة وإيضاحها من (البرهرهة) المرأة البيضاء الشابة لإضاءتها، أو من البرهة لثباته. ويقال إنها معرب عن (بُروهان) الفارسية ومعناه الواضح الظاهر المعلوم[١]. وقد ذكر المعجم الوسيط أن هذه اللفظة أخذت معاني اصطلاحية فهي تعني عند التطبيقيين: قياس مؤلف من مقدمات يقينية، وعند الرياضيين: ما يُثبت قضية من مقدمات مسلم بها[٢]؛ وهكذا يتبين أن دلالات برهان سواءً أكانت الحجة أم الآية فكلاهما مستفاد من الدليل والبينة، كما أخذت معاني علمية اصطلاحية ارتبطت بالمعنى الأصلي بعلاقة سببية.

٦) **(بشرى):** يقال للخبر السار بشارة، وبشرى[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ (يوسف/١٩) فقد ذكر "الطبري" أن اللفظ قد يكون المراد منه تبشير من المدلي دلوه أصحابه في إصابته "يوسف" بأنه أصاب عبدًا، وقال آخرون: بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه، نداه المدلي لما خرج "يوسف" من البئر متعلقًا بالحبل[٤]، وقال "الألوسي" نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه ورفقته؛ كأنه نزلها منزلة شخص فناداه فهو استعارة مكنية وتخييلية؛ أي: (يا بشرى تعال فهذا أوان حضورك)، وقيل: المنادى محذوف كما في (يا ليت)؛ أي يا قومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيل: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء[٥]، وكلها معانٍ يحتملها السياق.

٧) **(بصيرة):** في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف/١٠٨)؛ أي على معرفة وتحقق[٦]، وقيل هي بمعنى (قوة في القلب)[٧]، كما تأتي بمعنى العين الباصرة كما في قوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة/١٤)، ويقال هي حجة على نفسه، والبصيرة الحجة والبرهان[٨]، ويقال معناه بصير على نفسه و(الهاء) دخلت للمبالغة كما دخلت في علامة، ونسابة، ونحو ذلك[٩]، والمعاني جميعها يحتملها نص الآية؛ مما يؤكد رحابة الدلالة وسعتها.

٨) **(نبغي):** في قوله تعالى: ﴿مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ (يوسف/٦٥)؛ فـ(نبغي) طلب تجاوز الاقتصاد[١٠] فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يُعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية؛ يقال: (بغيت الشيء) إذا طلبت أكثر مما يجب، وابتغيت كذلك[١١]، وعلى هذا المعنى يكون المراد من قوله تعالى: ﴿مَا نَبْغِي﴾ على معنى الطلب؛ ومن ثم

---

(١) السيد ادي شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢ دار العرب ، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢١.

(٢) معجم الوسيط، تصدير د. شوقي ضيف، ط٤ الشروق ٢٠٠٤م، ص ٥٣.

(٣) المفردات ٤٨/١.

(٤) تفسير الطبري: ١٨٣/٧.

(٥) روح المعاني ٢٠٣/١٠.

(٦) المفردات ٤٩/١..

(٧) الكليات ص٢٤٧.

(٨) الكشاف ٥٠٨/٢.

(٩) غريب القرآن، ص ١٢٣.

(١٠) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط ميمنة مصر،١٣٢١هـ ٥٥/٢.

(١١) المفردات ٥٥/١.

تكون (ما) استفهامية منصوبة المحل على أنها مفعول مقدم لـ(نبغي) فالمعنى: (ماذا نطلب وراء ما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه)[١]. وتحتمل (ما) كذلك أن تكون نافية؛ فيكون المعنى: ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وكرمه، أو ما نبتغي شيئًا وراء ما فعل بنا من الإحسان[٢]، كما تحتمل (ما) الموصولة وجملة (نبغي) صلة، والعائد محذوف تقديره: (الذي نبغيه هو أن نمير أهلنا أي نتزود بالزاد ونحفظ أخانا ونزيد كيلنا كيل بعير)؛ وهكذا تعددت دلالة (ما) بين الاسمية وحرفية، كما تعددت الاسمية بين الموصولة والمفعولية، والسياق محتمل لها جميعًا.

٩) **(المبين):** في قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (يوسف/١)، فهي من (أبان) بمعنى (بان) أي ظهر فهو لازم[٣] أي ظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه، أو الواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم حقائقه ولا تلتبس عليهم دقائقه وكأنه على المعنيين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه؛ فارتفع واستتر[٤]. ويحتمل أن يكون المعنى: (بين) بمعنى (أظهر) فهو متعدٍ والمفعول مقدر أي (المظهر ما فيه هدى ورشد). وإما المبين الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وما يحتاج إليه من أمر الدين، أو ما سألت عليه اليهود، أو ما أمرت أن يسأل من حال انتقال يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، أو المبين من وجهة بيان اللسان العربي وجودته؛ إذ فيه ستة أحرف لم تجمع في لسان، وقال المفسرون هي: (الطاء، والظاء، والضاد، والصاد، والعين، والخاء)[٥]؛ وهكذا تتضح دلالة اللفظ في كونه يفيد الوضوح، والظهور، والبيان؛ سواءً أكان لما فيه من أحكام وعبادات، أو مبين لنفسه لفصاحته وبلاغته.

١٠) **(حتى):** حرف يجر به تارة كـ(إلى) لكن يدخل الحد المذكور بعده في الحكم في حكم ما قبله، ويعطف به تارة، ويستأنف به تارة أخرى[٦]، وقد ورد في سورة "يوسف" لمعنيين، أولاهما: بمعنى إلى، كما في قوله تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)، وبمعنى (فلما)، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾ (يوسف/١١٠)، وقد جاءت بمعانٍ أخر في القرآن، منها الإقرار في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾[٧] (التوبة/٢٩)، وقيل إن ما بعد (حتى) يقتضي أن يكون بخلاف ما قبله، نحو قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ﴾ (النساء/٤٣)، وقد يجيء ولا يكون كذلك، نحو قوله ﷺ : (إن الله تعالى لا يمل حتى تملوا) لم يقصد أن يثبت ملالاً لله تعالى بعد ملالهم[٨]؛

---

(١) روح المعاني ١٣/١٨.

(٢) الكشاف ٢/٤٨٦.

(٣) اللسان مادة (ب.أ.ن).

(٤) روح المعاني ١٠/١٧١.

(٥) البحر المحيط ٥/٢٧٩.

(٦) المفردات ١/١٠٧.

(٧) الأشباه والنظائر، ص٢٦٣.

(٨) المفردات ١/١٠٧.

وهكذا تعددت دلالة (حتى) كما هو مبين؛ مما يستنتج منه أن التعدد لا يقتصر على الأسماء والأفعال وإنما يرد في الحروف أيضًا؛ وإن كانت نسبة وروده في الحرف أقل من وروده في الاسم والفعل.

١١) **(أحاديث):** جمع (حديث) وهو في اللغة كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه، فيقال له حديث[١]. أما (أحاديث) في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ (يوسف/٦)، فهي تحتمل عدة معانٍ: قيل المراد بها تعبير الرؤيا، وقيل المراد بها معاني أحاديث الأنبياء والأمم السالفة، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (النازعات/١٥)، والكتب المنزلة، وقيل المراد بها الأمور المحدثة من الروحانيات والجسمانيات، وتأويلها كيفية الاستدلال بها على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته، وقيل تطلق أحاديث على القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٢]. (الطور/٣٤). وكذلك اُختلف في مفردها فقيل (الأحاديث) جمع تكسير على غير قياس، كما قالوا: (باطل، وأباطيل)، وليس باسم جمع له؛ لأن النحاة قد شرطوا في اسم الجمع أن لا يكون على وزن يختص بالجمع كـ(مفاعيل). وقيل: هو جمع أحدوثة، ورُد بأن الأحدوثة الحديث المضحك كالخرافة؛ فلا يتناسب هنا، ولا في أحاديث الرسول ﷺ. وقال "ابن هشام": الأحدوثة من الحديث ما يتحدث به ولا تستعمل إلا في الشر، وقد ذكر "المبرد" أنها ترد في الخير. وقيل: إنهم جمعوا حديثًا على أحدوثة، ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع، أو أقطعة، وأقاطع[٣].

١٢) **(الحس):** هو القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية، وهي على وجهين: أحدهما: يقال أصبته بحسي، نحو عنته، ورعته. والثاني: أصبت حاسته، نحو كبدته، وفأدته، ولما كان ذلك قد يتولد منه القتل عُبر به عن القتل فقيل حسسته؛ أي قتلته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾[٤] (آل عمران/١٥٢). وأما أحسسته فحقيقته أدركته بحاستي، وأحست مثله لكن حُذفت إحدى السينين تخفيفًا، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ (آل عمرتن/٥٢)، وعبر عنه أيضًا بالصوت، وذلك في قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (الأنبياء/١٠٢)[٥]، واستعماله في التعرف استعمال له في لازم معناه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف/٨٧) أي تعرفوا، وهو (تفعل) من الحس وهو في الأصل الإدراك بالحاسة[٦]، وهكذا تعددت دلالة اللفظ بين المعنى الأصلي الذي هو طلب الإحساس إلى معانٍ مجازية منها: (القتل، والرؤية، والصوت، بالإضافة إلى التعرف أو البحث)

---

(١) المفردات ١/١١١.

(٢) مؤتمر سورة يوسف، ١/ ٢٣٥.

(٣) روح المعاني ١٠/١٨٦.

(٤) المفردات: ١/١١٦.

(٥) الأشباه والنظائر، ص١٣٣.

(٦) روح المعاني: ٣/٦٣.

١٣) **(حاشى):** في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ (يوسف/٣١) وهى بمعنى الاستثناء والتنزيه[١]. قال المفسرون معناه: (معاذ الله)، وقال اللغويون: حاشى له معنيان: التنزيه والاستثناء، واشتقاقه من قولك: (كنت في حشي فلان) أي في ناحيته، ومنه قولهم: (أي الحشي آخذ) أي: أي الناحية آخذ. وقولهم (حاشى فلان) أي أعزل فلانًا من وصف القوم بالحشي، فلا أدخله في جملتهم، ويقال: (حاشى لفلانٍ، وحاشى فعلهم فلانًا، وحاشى فلانٍ)؛ فمن نصب (فلانًا) أضمر في (حاشى) مرفوعًا، والتقدير: (حاشى فعلهم فلانًا). ومن خفض فلانًا فبإضمارهم اللام، لطول صحبتها بـ(حاشى). وجواب آخر: لما خلت (حاشى) من الصاحب أشبهت الاسم فأضيفت (حاشى زيد) فمعناه: (حاشيت زيدًا)[٢]. وهناك من يرى أن (حاشا) لا فعل ولا حرف؛ بدليل قراءة بعضهم (حاشاً) بالتنوين. كما يقال: (براءة من الله)، وقراءة "ابن مسعود" (حاشَ اللهِ) بالإضافة كـ(معاذ الله، وسبحان الله)، ودخولها على اللام في قراءة السبعة، والجار لا يدخل على الجار، وإنما ترك التنوين في قراءتهم لبنائها ولشبهها بـ(حاش) الحرفية لفظًا[٣].

١٤) **(أحاط):** في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (يوسف/٦٦)؛ ذكر "الراغب" أن الإحاطة لها معنيان: أحدهما في الأجسام، نحو أحطت بمكان كذا، أو تستعمل في الحفظ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت/٥٤)؛ أي حافظ له من جميع جهاته. وتستعمل في المنع كما في الآية؛ أي (إلا أن تمنعوا)[٤]. وقيل إن أصله من إحاطة العدو واستعماله في الهلاك؛ لأن من أحاط به العدو فقد هلك غالبًا. وقيل الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، والتقدير: لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم[٥]. وذكر" أبو حيان" أن الإحاطة لفظ عام لجميع وجوه الغلبة، والمعنى: تعمكم الغلبة من جميع الجهات، حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص. وقال "مجاهد": إلا أن تهلكوا، وعنه أيضًا: إلا أن لا تطيقوا ذلك[٦]؛ فالمعنى الحقيقي هو (الحفظ، والمنعة)، واستمد منه معنى (الهلكة، والغلبة) على سبيل المجاز.

١٥) **(الحين):** في قوله تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)، ذكر "الراغب" أن (الحين) هو وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى ويتخصص بالمضاف إليه[٧]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص/٣)، وقد يدل على الأجل، كما في قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (الصافات/١٤٨)، والسنة نحو قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ (إبراهيم/٢٥)، وللساعة كما في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم/١٧)، وللزمان المطلق كما في آية

---

(١) روح المعاني ١٠/٢٣٠.

(٢) غريب القرآن ص١٩١-١٩٢.

(٣) معترك الأقران، ٢/١٥٨.

(٤) المفردات ١/١٣٦.

(٥) روح المعاني ١٣/٢٠-٢١.

(٦) البحر المحيط ٥/٣٢٢.

(٧) المفردات: ١/١٣٧.

"يوسف"[1]؛ وهكذا يتبين أن اللفظة مبهمة في دلالاتها على الزمن طال أو قصر ولا يتعين إلا بالمضاف إليه.

١٦) **(دين):** في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف/٤٠) قيل إنها بمعنى (الملة، والعقيدة)، وهما ما يدين به الإنسان وهو المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف/٧٦)؛ والمراد ملة ملك مصر أي دينه وشريعته، وبمعنى الطاعة والجزاء والشريعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (آل عمران/ ١٩)، والدين قيل هو بمعنى الإسلام في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران/٨٣)[2]، والحكم في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور/٢)؛ يعني رأفة في حكم الله الذي حكم على الزاني. وقد ذكر المعجم الوسيط هذه المعاني كلها بالإضافة إلى السيرة، والعادة، والحال، والشأن، والورع، والحساب، والسلطان، والقضاء، والتدبير[3]. وهكذا تعددت معاني اللفظ وإن كانت جلها مستفاد من معنى الاعتقاد واسم لجميع ما يعبد به الله.

١٧) **(رأى):** عينه همزة، ولامه ياء، وتحذف الهمزة من مستقبله[4]؛ فيقال: (ترى، ويرى، ونرى) وجاءت في سورة "يوسف" **بعدة معانٍ منها:**

- رأى البصرية: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (يوسف/٤)، وكذلك (يوسف/٢٨، ٣١، ٣٥) وهي تتعدى إلى مفعول واحد، فإذا وقعت من الله -عز وجل- فهي تجري مجرى الرؤية الحاسة؛ لأن الله تعالى تنزه عن ذلك.
- رؤية الاعتقاد: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٣٦)[5].
- رؤية علمية بصرية: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف/٣٠) أي نعلمها، فالرؤية قلبية واستعمالها بمعنى العلم حقيقة كاستعمالها بمعني الإحساس بالبصر، وإذا أريد منها البصرية، ثم تجوز بها عن العلمية؛ فكان أبلغ في إفادة كونها فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة[6].
- الرؤيا المنامية: وفيها يتعدى الفعل إلى مفعولين، ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ (يوسف/٣٦، ٤٣). وقد جاءت (الرؤية) لمعانٍ أخر في القرآن الكريم منها:
- الرؤية بالوهم والتخيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (الأنفال/٥٠).
- الرؤية بالتفكر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ (الأنفال/٤٨).

---

(١) الفراء: معاني القرآن، تحقيق أ. محمد علي النجار، ط٣ دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٢/٤٥المفردات ١/١٣٨.

(٢) المفردات، ١/١٧٥.

(٣) معجم الوسيط، ص٣٠٧.

(٤) المفردات: ٢/٢٠٨.

(٥) روح المعاني ١٠/٢٣٩.

(٦) السابق نفسه، ١٠/٢٢٧.

● الرؤية بالعقل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم/١٣)[١]؛ وهكذا لا تخرج معاني اللفظة عن معنى الرؤية بجميع أشكالها بصرية كانت أو علمية أو اعتقاديه.

١٨) (يرتع): في قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف/١٢)؛ فقد ذكر المفسرون أن (يرتع) تحتمل معاني منها: (ارتعى) افتعل من الرعي بمعنى المراعاة، وهي الحفظ للشيء، أو من الرعي وهو أكل الحشيش والنبات، يقال رعت الماشية الكلأ ترعاه رعيًا؛ أي أكلته. والرعي بالكسر: الكلأ، ومثله: ارتعى، ورتع: أقام في خصب، وتنعم[٢]. وقد رجح "الألوسي" أن يكون المعنى المراد في الآية هو الرعي بمعنى التنعم بالتوسع في أكل الفواكه ونحوها. وأصل معنى (الرتع) أن تأكل وتشرب ما تشاء في خصب وسعة، ويسمى الخصب (رتعة) بسكون التاء وفتحها[٣]. وذكر "الراغب" أن (الرتع) حقيقة في أكل البهائم ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير[٤].

١٩) (الروح): في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف/٨٧) فقد ذكر "الراغب" أن الروح والرَّوح واحد وكلاهما بمعنى (النفس)، وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس، ونحو تسمية الإنسان بالحيوان، وقوله: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي من فرجه ورحمته؛ وذلك بعض الرُّوح[٥]. وذكر "ابن قتيبة" أي من رحمته، سماها روحًا لأن الروح والراحة يكونان بها[٦]؛ وذكر أهل التفسير أن الروح في القرآن على سبعة أوجه:

أحدها: روح الحيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء/٨٥).

الثاني: جبرائيل عليه السلام، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ (النحل/١٠٢).

الثالث: ملك عظيم من الملائكة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (النبأ/٣٨).

الرابع: الوحي، ومنه قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ (النحل/٢).

الخامس: الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء/١٧١).

السادس: الريح التي تكون عن النفخ، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم/ ١٢).

السابع: الحياة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الواقعة/٨٩) على قراءة من فتح الراء[٧]؛ ومن ثم تكون الروح بمعنى الرحمة، والراحة، والفرج، والتنفيس. وكلها معانٍ مشتملة عليها.

---

(١) المفردات ٢/٢٠٩، وتمام حسان: البيان في روائع القرآن"دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني"، عالم الكتب، ١٩٩٣م، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) البحر المحيط ٢/٢٧٧.

(٣) روح المعاني ١٠/١٩٣.

(٤) المفردات ٢/١٨٧.

(٥) المفردات ٢/٢٠٥،٢٠٦، وروح المعاني ١٣/٦٤.

(٦) تأويل مشكل القرآن ص٤٨٨.

(٧)نزهة الأعين، ص٣١٢.

٢٠) **(زعيم):** للزعم ثلاث لغات، وهي بمعنى القول: زَعَمَ، وزَعْمًا، وزُعْمًا، وزِعْمًا، أي: قال وقيل، وهو القول ويكون حقًا ويكون باطلاً. وقيل هو الظن. وعن "ابن الأعرابي" زاعم وزعيم اسمان، و الزعم بمعنى القول قال "الكسائي" إذا قالوا: (زعمة صادقة لآتينك) رفعوا، ومنه الزعيم بمعنى الوكيل وفي حديث "المغيرة": (زعيم الأنفاس أي موكل بالأنفاس يصعدها لغلبة الحسد والكآبة عليه)[١]. أما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (يوسف/٧٢) فالمراد – والله أعلم– أنا به كفيل أو ضامن، وقد ترد بمعنى السيد في قولهم: (زعيم القوم) أي سيدهم[٢]، والعلاقة بين المعنيين هو أن (الكفيل، والضامن) لا يكون إلا سيدًا؛ فالعلاقة بينهما سببية.

٢١) **(شرى):** في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف/٢٠) ذكر "الراغب" أن الشراء والبيع يتلازمان؛ فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن، هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض وسلعة، فإذا كانت بيع سلعة بسلعة؛ صح أن يتصور كل واحد منهما مشتريًا وبائعًا؛ ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر. وشريت بمعنى بعت أكثر[٣]؛ ولذا فسرت (شروه) في الآية بمعنى (باعوه)؛ وذلك لعود الضمير على أخوة "يوسف". أما إذا كان مرجع الضمير للسيارة فيكون المعنى: اشتروه[٤]. و(شرى، واشترى) بمعنى واحد، وعند علماء اللغة في الأضداد: بمعنى باع، وباع اشترى: أوردهما الأصمعي في: (باع) للمشتري والبائع، وفي (شراه): ملكه بالبيع، وأيضًا باعه. ومنه في القرآن: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ (النساء/ ٧٤) أي يبيعون. ومن شواهده لـ(شرى) بمعنى (البيع) قول طرفة:

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتًا ولم تضرب له وقت موعد[٥].

وهكذا اجتمعت دلالتا (البيع، والشراء) في اللفظة؛ ومن ثم عدت من الأضداد، والسياق يعد المعول عليه في تعيين أي المعنيين يراد.

٢٢) **(الصلاح):** هو ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيئة، والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس؛ فيقال منه اصطلحوا وتصالحوا[٦]، ويطلق الصلاح على الصلاح الدنيوي، وعلى الصلاح الديني، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف/ ٩)؛ فالمعنى هنا يحتمل الوجهين، ومن إطلاقه على الصلاح الدنيوي خاصة ما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء/٩٠) أي جعلناها صالحة للولادة بعد

---

(١) اللسان مادة (ز.ع.م).

(٢) المفردات ٢/٢١٣، والفراء ٢/٤٥١.

(٣) المفردات ١/١٣٦.

(٤) روح المعاني ١٠/٢٠٤.

(٥) مؤتمر سور يوسف، ص ٢٧٥.

(٦) المفردات ٢/٢٨٤.

عُقرها، وأما شواهد إطلاقه على الصلاح الديني خاصة، فمنه قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل/١٩)[١]، كما تأتي بمعنى الرفق، في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص/٢٧)؛ أي من الرافقين بك، وبمعنى الولد، في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف/١٨٩)، وبمعنى أداء الأمانة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف/٨٢) [٢]؛ وهكذا جمعت اللفظة بين صلاح الدنيا، والدين وما يؤدي إليهما من صلاح الولد، والخلق؛ فالعلاقة بينهما سببية.

٢٣) **(الضلالة):** ووردت في "يوسف" ثلاث مرات في الآيات ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف/٨) وهي بمعنى الخطأ في الرأي[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف/٣٠) والمراد ضلال عظيم عن طريق الرشد والصواب أو سنن العقل[٤]. أما قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف/٩٥) فتعددت معانيها؛ فيقال: هي ذهاب عن الصواب قدمًا في الإفراط في محبة يوسف، وأخرج "ابن جرير" عن "مجاهد" أن الضلال هنا بمعنى (الحب)، وقال "مقاتل" هو الشقاء والعناء. وقيل: الهلاك والذهاب من قولهم: (ضل الماء في اللبن) أي ذهب فيه وهلك، وأخرج "ابن أبى حاتم" عن"سعيد بن جبير" تفسيره بالجنون....وذلك لظن أخوة "يوسف" أنه مات[٥]، وجميعها معانٍ يحتملها النص؛ والمعاني الواردة في يوسف هي من الضلال في الأمور الدنيوية، أما عن معانيها في القرآن فمنها:

- الغي والفساد، في قوله تعالى: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ (النساء/١١٩).
- الخسار: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر/٢٥)؛ ولا تطلق (الضلالة) إلا على الفعلة منه[٦].
- ومنه الضلال الناشئ عن السهو والخطأ دون العمد كما في قول موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء/٢٠)، ومن إطلاقه على النسيان قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ (البقرة/٢٨٢).
- ومن الضلال بمعنى الوقوع في الخطأ عن تأويل دون عمد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة/٧) قيل هم النصارى لأنهم لم يتعمدوا الكفر، بل وقعوا فيه بسبب الجهل والتأويل[٧]، وهكذا يتبن أن المعنى الأصلي في الضلال هو فقدان الهدى فيه، سواء أكان كثيرًا أم يسيرًا، وسواء أكان

---

(١) مؤتمر تفسير سورة يوسف،١/٢٩٨.

(٢) الأشباه والنظائر، ص٢٥٩.

(٣) روح المعاني، ١٠/١٩٠.

(٤) السابق نفسه، ١٠/٢٢٧.

(٥) السابق نفسه، ١٣/٧٧-٧٨.

(٦) الكليات، ٥٦٧.

(٧) مؤتمر سورة يوسف، ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

عمدًا أم سهوًا، أم تأويلاً، وسواء أكان في الأمور الدنيوية، أم في الأمور الدينية، وسواء أكان في الفروع أم في الأصول، ولذلك وصف به الكفار تارة، ووصف به كبراء أهل الإيمان تارة أخرى(١).

٢٤) (العزيز): الذي يُقهِر ولا يُقهَر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ (يوسف/٨٨)، والعزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب(٢)، وقد أخذت اللفظة معاني مجازية مستمدة من المعنى الحقيقي؛ فمنها: المنيع في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٥٨)، والغلظ، في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة/٥٤)؛ أي غلاظًا عليهم، والشديد، في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة/١٢٨)؛ أي شديدًا عليه في الوجد به، والشديد في القوة، في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ (يس/١٤)؛ يعني فقويناهما (٣)؛ ومن ثم تنوعت دلالة اللفظ بين القهر، والغلبة، والمنعة، والشدة، وجميعها معانٍ مجازية مستفادة من المعنى الأصلي.

٢٥) (يعصرون): في قوله تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف/٤٩) ذكر "الراغب" أن (العصر) مصدر (عصرتُ)، والمعصور الشيء العصير، والعصارة نفاية ما يُعصر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ (يوسف/٣٦)(٤). وذكر "أبو حيان" معاني للفظة (يعصرون)؛ تبعًا لاختلاف القراءات منها قراءة الأخوان (تعصرون) بالتاء على الخطاب، وباقي السبعة بالياء على الغيبة، والجمهور على أنه من عصر النبات كالعنب، والقصب، والزيتون، والسمسم، والفجل وجميع ما يعصر، والحلب منه لأنه عصر للضروع...وقال "أبو عبيدة" وغيره مأخوذ من العصرة والعصر، وهو المنجي، والمعنى: ينجون بالعصرة. وقرأ "أبو جعفر بن محمد، والأعرج، وعيسى" (يُعْصَرون) بضم الياء وفتح الصاد مبنيًا للمفعول؛ أي (تمطرون) وهو من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا﴾ (النبأ/١٤)(٥). وعن "عيسى" أيضًا (تُعْصَرون) بالتاء على الخطاب مبنيًا للمفعول، ومعناه: ينجون من عصره إذا أنجاه، وهو مناسب لقوله: ﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾، وقال "ابن المستنير" معناه: يمطرون من أعصرت السحابة ماءها عليهم؛ فجُعلوا (معصرين) مجازًا بإسناد ذلك إليهم، وهو للماء الذي يمطرون به، وحكي "النقاش": أنه قرئ (يُعصِّرون) بضم الياء وكسر الصاد وشدها، من (عصَّر) مشددًا للتكثير (٦)؛ وهكذا تعددت دلالة اللفظ لتعدد القراءات، وجميعها يلائم سياق الآية.

٢٦) (الاستغفار): وهو استفعال من طلب الغفران، والغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، والغفر: الستر؛ يقال: (اصبغ ثوبك فهو أغفر للوسخ) (٧). وذكر بعض المفسرين أن الاستغفار في القرآن على

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق "دراسة قرآنية لغوية وبيانية"، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤٩١.

(٢) المفردات،٣/٣٣٢-٣٣٣.

(٣)الأشباه والنظائر، ص٢٤٩.

(٤) المفردات ٣/٣٣٦.

(٥) إملاء ما من به الرحمن ٢/٥٤.

(٦) البحر المحيط ٥/٣١٥.

(٧) المفردات، ٣/٣٦٢.

ثلاثة أوجه: **أحدها:** الاستغفار نفسه، وهو طلب الغفران، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ (يوسف/٢٩)، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح/١٠) وهو كثير في القرآن. **والثاني:** الصلاة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران/١٧)، **والثالث:** الاستغفار من الشرك بالله ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ (هود/٩٠)، يعني من الشرك[١]، وقد عد بعضهم الآية التي في "يوسف" من قسم الاستغفار، وجعل التي في "هود" وفي "نوح" بمعنى التوحيد [٢].وإن كان المعنى اللغوي ظاهر في المعاني الثلاثة؛ لكون الصلاة دعاءً في حقيقتها، والاستغفار من الشرك أيضًا دعاء؛ فكلاهما بمعنى طلب الصفح، والغفران، والستر.

٢٧) **(يغاث):** في قوله تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ (يوسف/٤٩)؛ فـ(يغاث) تصح أن تكون من (الغيث، والغوث)؛ فـ(الغوث) يقال في النصرة، و(الغيث) في المطر[٣]؛ وذكر "أبو حيان" أن (الغوث) في الآية تحتمل المعنيين؛ فأولهما: أن يكون من (الغوث)، وهو الفرج، يقال: (أغاثهم الله) فرج عنهم، ويحتمل أن يكون من (الغيث)، فتقول: (غيثت البلاد)؛ إذا أمطرت، ومنه قول أعرابية: (غثنا ما شئنا) [٤]؛ ومن ثم يكون اللفظ (يغاث) من المشترك اللفظي (الهومونيمي)؛ لكونه يرجع إلى أصلين مختلفين هما (الغوث، والغيث). على حين حدث الاتفاق في صيغة (يغاث) على اختلاف الدلالة بين المعنيين.

٢٨) **(قصص):** في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف/٣) فهي في اللغة تعني: الأخبار المتتبعَّة[٥]، وهو يحتمل في الآية أن يكون مصدرًا للفعل (قص)، واسم مفعول إما لتسميته بالمصدر، وإما لكون الفعل يكون للمفعول كـ(القبض، والنقص). فعلى المصدرية يكون معناه: اقتص على أبدع طريقة، وأحسن أسلوب. وإن كان المفعول فكان أحسنه لما يتضمن من العبر، والحكم، والنكت، والعجائب التي ليست في غيره، والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه، كما يقال للرجل: (هو أعلم الناس، وأفضلهم)؛ يراد في فنه. وقيل: كانت هذه السورة أحسن القصص لإنفرادها عن سائرها بما فيها. وقيل كانت أحسن القصص؛ لأن كل من ذُكر فيها كان مآله إلى السعادة. وقيل (أحسن) ليست أفعل التفضيل؛ بل هي بمعنى (حسن) كأنه قيل: حسن القصص، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: القصص الحسن[٦]؛ فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، والقصص على وجهين: يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص، تقول: قص الحديث، يقصه، قصصًا، ويكون (فعلاً) بمعنى (مفعول) كالنبأ والخبر، ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر، كالخلق،

---

(١) الأشباه والنظائر، ص١٣٠-١٣١.

(٢) الدامغاني: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق محمد حسن أبو العزم الزّفيتي، ط وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٢م، ١٢٦/١.

(٣) المفردات ٣٦٧/٣.

(٤) البحر المحيط ٣١٢/٥.، وروح المعاني ٢٥٥/١٠،٢٥٦.

(٥) المفردات ٤٠٥/٤.

(٦) البحر المحيط ٢٧٩/٥، روح المعاني، ٥٧/١٠.

والصيد، وإن أريد المصدر فمعناه: نحن نقص عليك أحسن القصص[1]؛ ومن ثم يتبين اختلاف أصل اللفظة بين المصدرية والفعلية؛ ولذا يعد من المشترك اللفظي.

٢٩) (قضى): في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ (يوسف/٦٨) والمراد -والله أعلم- أظهرها ووصاهم بها دفعًا للخطرة غير معتقد أن للتدبير تأثيرًا في تغيير التقدير[2]. وقيل المراد منها: الإبرام[3]؛ كما جاءت بمعنى الوجوب في قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف/٤١). وقد جاءت لمعانٍ أخر، ومنها: الفراغ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ (البقرة/٢٠٠)، والأمر في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ (آل عمران/٤٧)، والأجل في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾ (الأحزاب/٢٣)، والفصل في قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام/٥٨)، والمضي في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً﴾ (الأنفال/٤٢)، والهلاك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (يونس/١١)، والإعلام في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الإسراء/٤)، والوصية في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء/٢٣)، والموت في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص/١٥)، والنزول في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ (سبأ/١٤)، والخلق في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (فصلت/١٢)، والفعل في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ (عبس/٢٣)، والعهد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ (القصص/٤٤)[4]، وهذه المعاني تعددت لتعدد السياقات الوارد فيها اللفظ وإن كانت القرابة والشبه بينها حاصل؛ فالأصل فيها دلالة الحكم والإبرام، والمعاني الأخرى تفرعت عنها بطريق المجاز من خلال العلاقة السببية أو المسببية.

٣٠) (الكبير): الكبير والصغير من الأسماء المتضايفة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض؛ فالشيء قد يكون صغيرًا في جنب شيء وكبيرًا في جنب غيره، ويستعملان في الكمية المتصلة كالأجسام وذلك كالكثير والقليل، وفي الكمية المنفصلة كالعدد[5]، واللفظة وردت ثلاث مرات في "يوسف" أولاها: الكبر في السن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ (يوسف/٧٨)، وثانيتها: بمعنى الكبير في الرأي، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ (يوسف/٨٠)، وثالثها: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾[6] (يوسف/٣١)؛ فقيل إن المراد أعظمنه ودهشن برؤية جماله الفائق الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[7]، ويجوز أن يكون

---

(١) الكشاف، ٢/٤٤٠-٤٤١.

(٢) روح المعاني ١٣/٣٠.

(٣) الإتقان ٢/١٥٢.

(٤) الإتقان ٢/١٥٣، ومعترك الأقران، ٣/١٣٩.

(٥) المفردات، ٤/٤٢١.

(٦) السابق نفسه، ٤/٤٢٣.

(٧) البحر المحيط، ١٠/٢٢٩.

المعنى (أكبرنه) أي وجدناه كبيراً[1]، وقيل إنها بمعنى (حضن لما رأينه) [2]، وأنكره "الكفوي" لأنه تعدى بالضمير [3]؛ ومن ثم يتبين أن لفظة (أكبرنه) تحتمل أن تكون بمعنى: (أعظمنه ودهشن لجماله، أو بمعنى وجدناه كبيرًا، أو بمعنى حضن)، وكلها معانٍ متقاربة والأصل فيها الكبر في السن ثم انبثقت منه معاني العظمة والإجلال والكبر في المكانة، وقد تعددت معانيها في القرآن؛ ومنه الكبير في الاعتقاد، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (الأنبياء/٦٣)، والشديد، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان/١٩)، والكثير، في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا﴾ (البقرة/٢٨٢)، والطويل، في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك/٩)[4]، وهكذا تعددت الدلالة بين الكبر المادي، والكبر المعنوي طبقًا للسياقات المختلفة.

٣١) (ألقى): وردت هذه المادة تحمل عشرة أوجه عند "الدامغاني":

فوجه منها بمعنى (وضع) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف/٩٣)؛ أي ضعوه، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف/٩٦)؛ أي وضعه، ونحوه كثير.

الثاني: بمعنى (وسوس) في قوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج/٥٢) يعني وسوس.

الثالث: بمعنى (خلق) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (ق/٧).

الرابع: بمعنى (أنزل) في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ (غافر/١٥) يعني ينزل.

الخامس: بمعنى (اقترع) في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران/٤٤) أي يقترعون.

السادس: بمعنى (كسا) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه/٣٩) أي كسوتك جمالاً، وخلعته على أخيك.

السابع: بمعنى (أدخل) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (فصلت/٤٠) يعني يدخل في النار.

الثامن: بمعنى (رمى) في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء/٤٥) بعني رماها من يده.

التاسع: بمعنى (كلَم) في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (النساء/١٧١).

---

(١) المفردات٤/٤٢٣.

(٢) كتاب غريب القرآن، ص٦٤.

(٣) أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط١ الرسالة، ١٩٩٢م، ص١٦٣.

(٤) الأشباه والنظائر، ص١٧٩.

العاشر: بمعنى (أجلس) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ (ص/٣٤) يعني أجلسنا الشيطان على كرسي سليمان[١]؛ ويتبين مما سبق أن (ألقى) تعني الطرح، والرمي، والوضع، ثم صار في التعارف اسمًا لكل طرح[٢].

٣٢) (ما): في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف/٥٣) فقد ذكر "العكبري" أن (ما) في الآية تحتمل أن تكون مصدرية وموضعها النصب، والتقدير: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا وقت رحمة ربي). كما ذكر انتصابها على الظرف، وهو كقولك: (ما قمت إلا يوم الجمعة). وقد تحتمل أن تكون (ما) بمعنى (من)، والتقدير: إن النفس لتأمر بالسوء إلا لمن رحم ربي، أو إلا نفسًا رحمها ربي فإنها لا تأمر بالسوء)[٣]. وقد فسره "أبو حيان" مبينًا أنه استثناء متصل بـ(لأمارة بالسوء)؛ لأنه أراد الجنس بقوله: (إن النفس) فكأنه قال: إلا النفس التي رحمها ربي فلا تأمر بالسوء، فيكون استثناء من الضمير المستكن في (أمارة) ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول (أمارة) المحذوف؛ إذ التقدير: لأمارة بالسوء صاحبها إلا الذي رحمه ربي، فلا تأمره بالسوء، وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه مما قبل الاستثناء. و(ما) ظرفية إذ التقدير: لأمارة بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتهاء المعاصي، وجوزوا أن يكون استثناءً منقطعًا، و(ما) مصدرية. وذكر"ابن عطية" أنه قول الجمهور؛ أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة[٤].

أما (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ (يوسف/٨٠)، فهي تحتمل عدة معاني أيضًا منها: أن تكون (صلة) أي زائدة، والمعنى: من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم. وقد تكون (مصدرية)[٥] على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو(من قبل)، ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم في "يوسف". وقد تكون منصوبة بالعطف على مفعول (ألم تعلموا)؛ كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقًا وتفريطكم من قبل في "يوسف". وقد تكون (موصولة) بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه؛ أي قدمتموه في حق "يوسف" من الجناية العظيمة، ومحله الرفع، أو النصب علي الوجهين[٦]، وهكذا تعددت دلالات لفظة (ما) لتعدد معناها الوظيفي بين المصدرية، والموصولة، والصلة...إلخ، كما تعدد أصلها بين الحرفية (عاملة، وزائدة)، وبين الاسمية، وهذا التعدد يوضح مرونة الدلالة وسعتها.

٣٣) (نجيًا): في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف/٨٠) وهي مصدر من (ناجيته) أي ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض. وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك، و(النجيّ) المناجي ويقال للواحد

---

(١) الوجوه والنظائر، ١/١٤٣،١٤٤.

(٢) المفردات ٤/٤٥٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/٥٤.

(٤) البحر المحيط ٥/٣١٧.

(٥) الكشاف ٢/٤٩٤،٤٩٥.

(٦) روح المعاني ١٣/٥١.

والجمع[1]. والمعنى: متناجين متشاورين فيما يقولون لأبيهم عليه السلام ، وقد عُبر به عن جمعهم لأنه حال من ضمير الجمع؛ ولأنه مصدر بحسب الأصل كـ(التناجي) أُطلق على المتناجين مبالغة أو لتأويله بالمشتق والمصدر، ولو بحسب الأصل يشمل القليل والكثير أو لكونه على زنة المصدر؛ لأن فعيلاً من أبنية المصادر وهو فعيل بمعنى مفاعل كـ(جليس) بمعنى مجالس، وكـ(عشير) بمعنى معاشر، أي مناج بعضهم بعضًا؛ فيكونون متناجين، وجمعه أنجية[2]. واختلاف أصل الكلمة يرجح كونها من المشترك اللفظي مع إفادتها معنيين: يكون بمعنى (المناجي)، كـ(العشير، والسمير) بمعنى: المعاشر، والمسامر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم/٥٢)، وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كما قيل النجوى بمعناه. ومنه قيل: قوم نجي، كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ (الإسراء/٤٧) تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف. ويجوز أن يقال: هم نجي؛ كما قيل: هم صديق؛ لأنه بزنة المصادر[3].

٣٤) (الهم): في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف/٢٤) يقول "الراغب" (الهم) في الأصل هو ما هممت به في نفسك، ومنه قول الشاعر:

وَهَمُّكَ ما لم تُمْضِهِ لك مُنْصِبٌ[4]

وقد فسر "الألوسي" (الهم) في الآية أنه من امرأة العزيز كان هم شهوة، ومن "يوسف" عليه السلام كان هم زجر[5]، وعلى أرجح الآراء يكون الهم بقسميه جواب (لولا) مقدم[6]؛ فيكون المعنى: لم يقع الجواب وهو الهم؛ لوجود الشرط وهو رؤية البرهان.

٣٥) (وجد): في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ (يوسف/٩٤) قيل إن الوجود أضرب: منها الوجود بإحدى الحواس الخمس كما في الآية؛ والمراد – والله أعلم– أشم[7]. والوجود بالبصر والبصيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ (يوسف/٦٥،٧٥،٧٩)، وجميعها تدل على وجدان الصواع بعد فقده، أو البضاعة التي دفعوها ثمنًا للعزيز. ومنه وجود بقوة الشهوة كما في (وجدت الشبع). ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط، ووجود بالعقل أو بواسطة العقل كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة[8].

---

(١) المفردات ٤/٤٨٥.

(٢) روح المعاني ١٣/٥٠.

(٣) الكشاف ٢/٤٩٤.

(٤) المفردات ٤/٥٤٦.

(٥) روح المعاني ١٣/١٠٩.

(٦) الكشاف ٢/٤٥٥.

(٧) البحر المحيط ٥/٣٣٩.

(٨) المفردات ٤/٥١٣،٥١٤، والبحر المحيط ٥/٣٣٩.

النتائج

١. فرق البحث بين نوعين من المشترك أحدهما اصطلح عليه بالاشتراك اللفظيhomonymy والذي يعني وجود كلمات منحدرة من أصول مختلفة وذات مدلولات مختلفة أيضًا ولكنها متقاربة أو متطابقة من حيث الصيغة أو النطق، وثانيهما اصطلح عليه بتعدد المعنى polysemy وهو يعني وجود كلمة واحدة منحدرة من أصل واحد لها أكثر من مدلول.

٢. لم ينتبه القدماء من علماء العربية إلى التفريق بين نوعي المشترك بل عدوهما نوعًا واحدًا اصطلح عليه بالمشترك اللفظي، وهو عندهم أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين بغض النظر عن إن كان هذان المعنيان يرجعان إلى أصلين مختلفين أو إلى أصل واحد. على حين وضع المحدثون معايير صرفية وأخرى دلالية للتفريق بينهما تتمثل في: (الاشتقاق، والصيغة، وأصل المعنى، أو التقارب الدلالي).

٣. أثبت البحث أن المعيار الدلالي يشوبه كثير من الخلط والاضطراب؛ لأن المفردات ليس لها عدد محدد من المعاني المميزة، وجوهر اللغات الطبيعية أن تتحول المعاني المعجمية فيها من معنى إلى آخر، وأن تقبل الاتساع بغير حدود؛ ومن ثم يرجح التخلي عن المعيار الدلالي والاكتفاء بالمعيار الصرفي لحل هذه المشكلة؛ لكون قرابة المعنى مسألة تقريبية أما الصيغة والاشتقاق فهما معياران ثابتان يمكن الاعتماد عليهما في التمييز بين المتعدد الدلالي والمشترك اللفظي.

٤. تناول البلاغيون هذه الظاهرة تحت مصطلح التجنيس ويعني عندهم أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً، بل يكونان حقيقيين، مقسمين إياه إلى المماثل وفيه يكون اللفظان المتجانسان اسمين، والمستوفي وفيه يكون اللفظان المتجانسان من نوعين مختلفين كاسم وفعل، والمتشابه وفيه يتفق اللفظان المتجانسان خطًا، وجميعها من المشترك الحقيقي، وما عداه يعد من المشترك الزائف.

٥. عرفت هذه الظاهرة عند المفسرين بالوجوه والنظائر، وهو يعني أنّ اللفظ الواحد في القرآن الكريم تتعدد دلالاته وتختلف من تركيب إلى تركيب، ومن سياق إلى سياق، وهو يشكل فَرْعًا من فروع الدراسات القرآنية ذات الصلة الوشيجة بالدراسات اللغوية الدّلالية، لأن فيه تعدد الوجوهَ (المعاني) للفظ الواحد في التعبير القرآني، مما يظهر ثراء اللغة.

٦. بينت الدراسة أن الأصوليين قد أولوا هذه الظاهرة عناية كبيرة؛ فبينوا أن المشترك هو اللفظ الموضوع لمعنيين على التساوي في الاستحقاق، دون أن يكون أحد المعنيين بأولى من الآخر في ارتباطه بذلك اللفظ؛ مبينين الفرق بين المشترك، والمنقول، والمستعار؛ فالمنقول: هو لفظ نقل عن مسماه إلى مسمى آخر على سبيل الثبات لعلاقة بينهما، ثم استخدم في المعنيين معًا. وأما (المستعار) فهو الاسم المنقول مؤقتًا إلى غير ما وضع له لعلاقة بينهما فإن الفرق بين المشترك من جهة، والمنقول، والمستعار من جهة أخرى هو أن المشترك لا وجود لعلاقة بين معنييه (أو معانيه)؛ أي

أن كلا معنييه حقيقة. في حين أن معنيي (أو معاني) المنقول، والمستعار يرتبطان بعلاقة مجازية. أما الفرق بين المنقول والمستعار فهو أن النقل ثابت في المنقول، ومؤقت في المستعار، وهذا الملحظ الدلالي لم ينتبه إليه اللغويون أنفسهم؛ مما يؤكد عناية الأصوليين بالدلالة.

٧. وضحت الدراسة اختلاف آراء العلماء فيه بين منكرٍ له ومؤيد، وانتهت الدراسة إلى أن ظاهرة المشترك واقع لا يمكن إنكاره، وأنه مرجح عقلاً؛ لكون المعاني كثيرة والألفاظ قليلة بحكم أصواتها؛ مما يتناسب معه إطلاق الكلمة الواحدة على أكثر من معنى، والمشترك اللفظي ليس حقيقة ثابتة في اللغة العربية وحدها بل في جل اللغات.

٨. تعد كثرة المشترك اللفظي دليلاً على ثراء اللغة، وطواعيتها ومرونتها، وشاعريتها، واتساعها في التعبير، وليس فقرها وضعفها كما يزعم المنكرون له، وواقع اللغة يثبت أن هذه الظاهرة ثابتة في مفردات اللغة أسماءً، وأفعالاً، وحروفًا.

٩. للمشترك اللفظي عند أهل البديع مقام كبير؛ لأن عددًا من فنون البديع كالجناس والتورية والترصيع وغيره من فنون البلاغة الأخرى قائم عليه، مستمد وجودها من وجوده. وهذا من جملة ما جعل المشترك اللفظي موضع اهتمام الفقهاء والأصوليين والمفسرين والباحثين في بلاغة القرآن وإعجازه من علماء العرب ونقادهم القدامى.

١٠. أثبتت الدراسة التطبيقية لسورة يوسف أن دلالات الألفاظ مرنة ورحبة، وبينت أن ألفاظ القرآن منها ما عُرف بالمتعدد الدلالي (البوليزيمي) وهو الأكثر شيوعًا وهو الذي ينحدر من أصل واحد، وتعددت معانيه لتعدد سياقاته. أما ما تعددت معانيه وتعددت أصوله التي انحدر منها، واتفق في النطق أو الخط، فهو ما عُرف بـ(المشترك اللفظي) وإن كان يمثل قدرًا أقل نسبيًا قياسًا بالقسم الأول.

١١. تعد المعاجم هي الوعاء الذي يحتوي المفردات ذوات الدلالات المتعددة فتكون الكلمة بين دفتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدد لها واحدًا من هذه المعاني.

١٢. يوصي البحث المهتمين بالعربية بإنشاء معاجم حديثة للكلمات متعددة الدلالات عامة، بنوعيها اللذين تحدثنا عنهما. يستمد مواده من مصادر العربية الأصيلة (قرآنًا، وحديثًا، وشعرًا) ليس هذا فحسب، وإنما يستمدها أيضًا من معاجم الألفاظ اللغوية العامة: القديم منها والحديث، ثم من النصوص الأدبية القديمة، لاسيما تلك النصوص الثرية بالألفاظ والمحسنات البديعية اللفظية من جناس وترصيع وطباق وغيره، وأخيرًا من نصوص التخاطب العصري الفصيح، المقروء منه والمسموع؛ فالحكم على دلالة اللفظ في نص ما أدق وأوثق مما لو استقيناه من المعاجم وحدها.

ثبت المصادر والمراجع

١) **د. إبراهيم أنيس:** دلالة الألفاظ، ط ٦، الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

٢) **ابن الأثير:** المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط القاهرة، ١٩٧٢م.
٣) **الشيخ أحمد الحملاوي:** كتاب شذا العرف في فن الصرف، ط المكتبة الثقافية، د.ت.
٤) **أحمد بن فارس:** الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق د. مصطفى الشويمي، بيروت، ١٩٦٤م.
٥) **د. أحمد مختار عمرو:** علم الدلالة، ط٥ عالم الكتب، ١٩٩٨م.
٦) **د. أحمد نعيم الكراعين:** علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.
٧) **د. الأزهر الزناد:** مبحث الاتساع في الدلالة المعجمية (المشترك في العربية)، ط حوليات الجامعة التونسية، ١٩٩٥م.
٨) **الألوسي:** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
٩) **أبو البقاء الكفوي:** الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط١ الرسالة، ١٩٩٢م.
١٠) **بالمر:** علم الدلالة إطار جديد، ترجمة د.صبري إبراهيم السيد، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
١١) **د. تمام حسان:** البيان في روائع القرآن، "دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني"، عالم الكتب، ١٩٩٣م.
١٢) **جمال الدين بن الجوزي:** نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط١ مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.
١٣) **جون ليونز:** اللغة وعلم اللغة، ترجمة د.مصطفى التوني، ط دار النهضة العربية، ١٩٨٧م.
١٤) **ابن حسنون:** اللغات في القرآن، حققه صلاح الدين المنجد، ط٣ دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م.
١٥) **أبو حيان:** تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوني ود.أحمد النجولي الجمل و قرظه أ.د. عبد الحي الفرماوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٦) **الدامغاني:** الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق محمد حسن أبو العزم الزّفيتي، ط وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٧) **الراغب الأصفهاني:** المفردات في غريب القرآن، ط دار التحرير، ١٩٩١م.
١٨) **الحسن ابن رشيق القيرواني:** العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت دار الجيل، د.ت.
١٩) **رمزي منير البعلبكي:** معجم المصطلحات اللغوية، ط دار العلم للملايين، .١٩٩م.

٢٠) **الزمخشري:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه مصطفى حسين أحمد، ط دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
٢١) **ستيفن أولمان:** دور الكلمة في اللغة، تعريب د. كمال بشر، ط القاهرة، د.ت.
٢٢) **السجستاني:**
- كتاب غريب القرآن، تقديم وتحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١ دار قتيبة، ١٩٩٥م.
- كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب، والمزال عن جهته والأضداد، ثلاثة كتب للأضداد: للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت ويليها ذيل للصغاني، نشر وتحقيق أوغست هفنر، ط بيروت ١٩١٢م.
٢٣) **سيبويه:** الكتاب، تحقيق أ. عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
٢٤) **السيوطي:**
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الحرم للتراث، د.ت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٨م.
٢٥) **ضاحي عبد الباقي:** لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، ط المجمع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٦) **الطبري:** جامع البيان في تأويل القرآن، ط دار الغد العربي، د. ت.
٢٧) **د. عائشة عبد الرحمن:** الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق "دراسة قرآنية لغوية وبيانية"، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٨) **عبد الله العلمي:** مؤتمر تفسير سورة يوسف تقديم د.محمد بهجة البيطار، ط مؤسسة دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٩) **د.عبد العال سالم مكرم:** المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، ط الكويت، ١٩٩٤م.
٣٠) **د.عبد العظيم إبراهيم محمد:** خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ط مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م.
٣١) **د. عاطف مدكور:** علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، ١٩٨٦م.
٣٢) **العكبري:** إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط ميمنة مصر،١٣٢١هـ.
٣٣) **د. علي عبد الواحد وافي:** علم اللغة، ط دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
٣٤) **الغزالي:** معيار العلم في فن المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٥) **الفراء:** معاني القرآن، تحقيق أ. محمد علي النجار، ط٣ دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٦) **فندريس:** اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، ط القاهرة، د. ت.
٣٧) **أبو عبيد القاسم بن سلام:** الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، تحقيق د.عبد المجيد دياب، ط دار الفضيلة، ١٩٩٨م.
٣٨) **ابن قتيبة:** تأويل مشكل القرآن شرحه السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
٣٩) **القزويني:** الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م.
٤٠) **المالقي:** رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق د. سعيد صالح مصطفى زعيمة، ط دار بن خلدون، د.ت.
٤١) **مجمع اللغة العربية،** المعجم الوسيط، تصدير د. شوقي ضيف، ط٤ الشروق ٢٠٠٤م.
٤٢) **د.محمود فهمي زيدان:** في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.
٤٣) **مقاتل بن سليمان:** الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وتحقيق د. عبد الله شحاتة، ط دار غريب، ٢٠٠١م.
٤٤) **ابن منظور:** لسان العرب، ط دار المعارف، د.ت.

المراجع الأجنبية

- David Crystal: A Dictionary of linguistics and phonetics, Blackwell , third edition, oxford, 1991.
- Ramzy Munir Baalbaki: A Dictionary of linguistic Terms, Dar EL Elm lil Malayin, 1990.